التوحيد

مجلة ▪ إسلامية ▪ ثقافية ▪ شهرية ● تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية ● العدد ٥٠٩ - السنة الثالثة والأربعون - جمادى الأولى ١٤٣٥ هـ الثمـن جنيهان

عقائد باطلة .. وفتن تَمُدُّ أعناقها

دعاوى التأويل والـــرد عليها

طول الأمـــل وبغـــتة الأجـــل

وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ

تذكير الأخلاء بأهمية الدعاء

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم

السارق الذي لا تُقطع يده

كما أن الناس يعرفون سرقة المتاع والدرهم والدينار، فهناك سرقة من نوع آخر؛ هي سرقة التراث الأدبي والأشعار، ويعتبرها الأدباء والشعراء أفظع من الأولى وأشد، وإن لم تقطع فيها اليد.

قال علماء البلاغة: اعلم أن معنى السرقة في الأشعار هي أن يسبق بعض الشعراء إلى تقرير معنى من المعاني واستنباطه، ثم يأتي بعده شاعر آخر يأخذ ذلك المعنى ويكسوه عبارة أخرى.

وقد أكثر الشعراء في ذم السرقة والسارق، حتى قال الشاعر طَرْفة الذي كان يتورع ويتبرأ من هذه السرقة:

ولا أُغيرّ على الأشعار اسرقها
عنها غنيت وشر الناس من سرقها

وقيل أيضا في هذه السرقة: فلان لو خلا بالكعبة لسرقها!!

وفي جواهر البلاغة للهاشمي: في السرقات الشعرية يقول: السرقة هي أن يأخذ الشخص كلام الغير، وينسبه لنفسه، وهي ثلاثة أنواع: نسخ، ومسخ، وسلخ.

أ- النسخ: ويسمى انتحالا أيضا، وهو أن يأخذ السارق اللفظ والمعنى معًا، بلا تغيير ولا تبديل، أو بتبديل الألفاظ كلها، أو بعضها بمرادفها، وهذا مذموم، وسرقة محضة.

ب- والمسخ- أو الإغارة: هو أن يأخذ بعض اللفظ، أو يغير بعض النظم.

ج- والسلخ- ويسمى إلمامًا، وهو أن يأخذ السارق المعنى وحده.

ولفظاعة هذه السرقة عن سرقة الذهب والفضة؛ كان استراق الشعر عند الشعراء، والأدب عند الأدباء، أفظع من سرقة البيضاء والصفراء، وغيرتهم على بنات الأفكار، كغيرتهم على البنات الأبكار.

التحرير

ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرشاً ، السعودية ٦ ريالات ، الامارات ٦ درهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الاردن ٥٠٠ فلس، قطر٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا ٢ دولار ، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل٣٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد عابدين مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون

٢- في الخارج٢٥ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الاسلامى فرع القاهرة . باسم مجلة التوحيد . أنصار السنة « حساب رقم / ١٩١٥٩٠ »

بشرى سارة

تعلن إدارة المجلة عن رغبتها في تفعيل التواصل بينها وبين القراء في كل ما يتعلق بالأمور الشرعية لعرضها على لجنة الفتوى ونشرها بالمجلة على البريد الإلكتروني التالي : q.tawheed@yahoo.com

التحرير

٨ شارع قولة عابدين . القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ . فاكس : ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧
ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام:

هاتف : ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦
WWW.ANSARALSONNA.COM

مفاجأة كبرى

نقدم للقارئ كرتونة كاملة تحتوي على ٤٠ مجلداً
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٠ سنة كاملة

السنة الثالثة والأربعون / العدد: ٥٠٩ - جمادى الأولى ١٤٣٥

في هـــذا الـعــدد

افتتاحية العدد: الرئيس العام ٢
كلمة التحرير: رئيس التحرير ٦
باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي ١٠
القلوب والفتن: د. جمال المراكبي ١٤
باب السنة: د. مرزوق محمد مرزوق ١٧
درر البحار: علي حشيش ٢١
منبر الحرمين: الشيخ صالح بن حميد ٢٣
باب الاقتصاد الإسلامي: د. علي أحمد السالوس ٢٧
القصة في كتاب الله: عبد الرزاق السيد عيد ٢٩
الرفق جماع الخير: عبده الأقرع ٣١
باب التراجم: صلاح نجيب الدق ٣٣
واحة التوحيد: علاء خضر ٣٦
دراسات شرعية: متولي البراجلي ٣٨
أنواع التربية المطلوبة: د. أحمد فريد ٤١
أسئلة القراء عن الأحاديث: المحدث أبو إسحاق الحويني ٤٣
دراسات قرآنية: مصطفى البصراتي ٤٦
نظرات في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم:
جمال عبد الرحمن ٤٩
تحذير الداعية من القصص الواهية: علي حشيش ٥٣
دعاوى التأويل والرد عليها: د. محمد عبد العليم الدسوقي ٥٧
الدعاء قرع لأبواب السماء: أحمد صلاح ٦١
من عوامل الصبر والثبات: المستشار أحمد السيد علي ٦٤
باب الفقه: د. حمدي طه ٦٦
من سمات أهل الزيغ: د. عبد المحسن العباد ٦٨
باب الفتاوى ٧٢

فاعلم أنه لا إله إلا الله

جماعة انصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز

رئيس مجلس الادارة
د. عبدالله شاكر الجنيدي

المشرف العام
د. عبدالعظيم بدوي

رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

اللجنة العلمية
جمال عبدالرحمن
معاوية محمد هيكل
د. مرزوق محمد مرزوق

مدير التحرير الفني
حسين عطا القراط

سكرتير التحرير
مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

طبعت بمطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

٧٥٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات
داخل مصر و٢٦٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن

التوزيع الداخلي: مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية

منفذ البيع
الوحيد بمقر
مجلة التوحيد
الدور السابع

افتتاحية العدد

تذكير الأخلاء بأهمية الدعاء

بقلم/ الرئيس العام

د/ عبدالله شاكر الجنيدي

www.sonna_banha.com

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعدُ:

فإن شأن الدعاء عظيم، وفضله كبير، ولا يستغني عنه العبد بحال، ولذلك أحببت أن أذكر نفسي وإخواني بأهمية الدعاء، خاصة في مثل هذه الأوقات التي تتطلب التوجه بصدق وإخلاص إلى من بيده الملك والملكوت، وهو الغني الحميد.

وحقيقة الدعاء: الرغبة إلى الله عز وجل وسؤاله والطلب، وفيه إظهار التوحيد والثناء على الله تبارك وتعالى. [انظر لسان العرب ج١٤/٢٥٧].

وفي الاصطلاح: «استدعاء العبد من ربه العناية، واستمداده منه المعونة، وحقيقته: إظهار الافتقار إلى الله تعالى، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله عز وجل وإضافة الجود والكرم إليه». [شأن الدعاء للخطابي ص٤].

ويفهم من هذا التعريف أن الدعاء يُظهر حاجة العبد لربه، وفقره لغناه وسلطانه، وقد أخبر سبحانه أن أهل سماواته وأرضه يسألونه كما قال تعالى: «يَسْئَلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ» [الرحمن: ٢٩]، قال ابن كثير: وهذا إخبار عن غناه عما سواه، وافتقار الخلائق إليه في جميع الآنات، وأنهم يسألونه بلسان حالهم ومقالهم، وأنه كل يوم هو في شأن، قال قتادة: لا يستغني عنه أهل السماوات والأرض، يُحيي حيًا، ويُميت ميتًا، ويُربي صغيرًا، ويفك أسيرًا، وهو منتهى حاجات الصالحين وصريخهم، ومنتهى شكواهم. [تفسير ابن كثير ٤/٣٥٥، ٣٥٦].

ولهذا أمر الله عباده بدعائه في كتابه فقال: «وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ» [غافر: ٦٠]، وقد أفادت الآية أن الدعاء عبادة؛ لأنه أمر بالدعاء، ثم ذكر كلمة العبادة محلها ليدل على أن الدعاء عبادة، وقد دلت السنة على ذلك كما في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدعاء هو العبادة»، وقد رواه أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم، انظر صحيح الجامع (٣٤٠٧).

وهذا يدل على عِظم شأنه وجلالة أمره، وهو نظير قوله صلى الله عليه وسلم: «الحج عرفة».

الترغيب في الدعاء:

وقد تكاثرت النصوص النبوية على الترغيب في الدعاء، ومن ذلك ما رواه الترمذي وابن ماجه وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ليس شيء أكرم على الله من الدعاء». وسنده حسن، انظر صحيح الأدب المفرد (٥٤٩).

وهو دال على فضل الدعاء وأهميته في حياة المسلم، وما هذه المرتبة السامية، والمنزلة العالية- والله أعلم- إلا لأنه يجتمع فيه من أنواع التعبد ما لا تجتمع في غيره، فهو روح العبادة ولبّها، ويستدعي حضور القلب، وعبادة الله بالتوجه والقصد، والرجاء

والتوكل، والرغبة فيما عنده، والرهبة من عذابه، ويستدعي عبادة اللسان من اللهج بالتمجيد والتحميد، والتقديس والطلب والمسالة، ويستدعي عبادة البدن بالانكسار والاستكانة بين يدي الله تعالى والتذلل له، والتبرؤ من الحول والقوة إلا به مستغيثا به وحده دون سواه. [انظر تصحيح الدعاء للشيخ بكر أبو زيد ص١٧].

خطر ترك الدعاء وإهماله:

ومما يدل على فضل الدعاء ما رواه البخاري في الأدب المفرد والطبراني في الأوسط أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أعجز الناس من عجز عن الدعاء، وأبخل الناس من بخل بالسلام»، وقد ورد هنا الحديث موقوفا ومرفوعًا، وحسّن الألباني الموقوف والمرفوع كما في الصحيحة (٦٠١).

وهذا يبين خطر ترك الدعاء وإهماله، ومن استكبر عنه، فهو متوعد بعذاب الجحيم، كما في التنزيل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، وفي حديث الترمذي وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من لم يسأل الله يغضب عليه». وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٦٥٤).

وقال المناوي في شرحه للحديث: «لأنه إما قانط وإما متكبر، وكلا الأمرين موجب للغضب، فهو سبحانه يحب أن يُسأل وأن يلحّ عليه، ومن لم يسأله يبغضه، والمبغوض مغضوب عليه». قال ابن القيم: «هذا يدل على أن رضاه في مسألته وطاعته، وإذا رضي الرب تعالى فكل خير في رضاه، كما أن كل بلاء ومصيبة في غضبه، فهو تعالى يغضب على مَن لم يسأله، كما أن الآدمي يغضب على من يسأله، ورحم الله من قال:

الله يغضب إن تركته سؤاله
وبُنَيُّ آدم حين يُسأل يغضب

[انظر: فيض القدير ج٣/١٢].

وقال المباركفوري: «لأن ترك السؤال تكبر واستغناء، وهذا لا يجوز للعبد، وقال الطيبي: وذلك لأن الله يحب أن يسأل من فضله، فمن لم يسأل الله يبغضه». [تحفة الأحوذي ١٢/٢١٣].

وملازمة الدعاء من أهم أسباب رفع البلاء، ورفع الشقاء، كما قال تعالى لخليله إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤٨] أي: خائبًا ضائع السعي، وفيه تعريض بشقاوتهم بدعاء آلهتهم، مع التواضع له بكلمة «عسى»، وما فيه من هضم النفس ومراعاة حسن الأدب، والتنبيه على الإجابة والإثابة بطريق التفضل منه تعالى. [انظر محسن التأويل ج١١/٤١٤٩].

ما أعظم شأن الدعاء والحاجة إليه!

وكم من بلية ومحنة رفعها الله بالدعاء وذنب ومعصية غفرها الله بالدعاء، وكم من فضل ورحمة ونعمة ظاهرة وباطنة استُجلبت بسبب الدعاء، فما أعظم شأن الدعاء والحاجة إليه، ومما ورد في فضل الدعاء ما رواه الإمام أحمد وابن ماجه وغيرهما عن ثوبان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يرد القدر إلا الدعاء». وحسنه الألباني في الصحيحة (١٥٤).

ومعناه: أن الله يدفع بالدعاء ما قد قضاه على العبد، وذلك أن

كم من بلية ومحنة رفعها الله بالدعاء! وكم من ذنب ومعصية غفرها الله بالدعاء! وكم من فضل ورحمة ونعمة ظاهرة وباطنة استُجلبت بسبب الدعاء! فما أعظم شأن الدعاء والحاجة إليه!!

الدعاء من قدر الله تعالى، فهو سبحانه قد يقضي أمرًا على عبده، ويقضي بأنه سيدعوه، فيزول هذا الأمر بقدر الله، ولا تعارض بينهما- بحمد الله- وهو يدل على أن الدعاء من أعظم الأسباب التي يستجلب العبد بها فضل ربه ومولاه، ويدفع عن نفسه أي مكروه أذاه، فالدعاء له تأثير في حصول المطلوب، ودفع المرهوب بفضل الله تعالى، ومن ظن أنه مجرد عبادة محضة لا تأثير له فقد ضل عن سواء السبيل.

يقول ابن تيمية رحمه الله: «.. أُمر الناس بالدعاء والاستعانة بالله وغير ذلك من الأسباب، ومن قال: أنا لا أدعو ولا أسأل اتكالًا على القدر كان مخطئًا أيضًا؛ لأن الله جعل الدعاء والسؤال من الأسباب التي ينال بها مغفرته ورحمته وهداه ونصره ورزقه، وإذا قدر للعبد خيرًا يناله بالدعاء لم يحصل بدون الدعاء، وما قدره الله وعلمه من أحوال العباد وعواقبهم فإنما قدّره الله بأسباب يسوق المقادير إلى المواقيت، فليس في الدنيا والآخرة شيء إلا بسبب، والله خالق الأسباب والمسببات، ولهذا قال بعضهم: الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابًا نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع». [مجموع الفتاوى ج٨/٦٩، ٧٠].

وهذا كلام نفيس للغاية، وهو يبين منزلة الدعاء، وأنه من قدر الله، ومن الأسباب المشروعة، وبه ينال العبد الخير المقدر، ولابن القيم رحمه الله عبارات فائقة في هذا المقام يحسن إيرادها هنا ليعم النفع بها بفضل الله:

قال: «أسباب كل خير أن تعلم أن ما شاء الله كان فتوقن حينئذ أن الحسنات من نعمه فتشكره عليها وتتضرع إليه أن لا يقطعها عنك، وأن السيئات من خذلانه وعقوبته فتبتهل إليه أن يحول بينك وبينها، وألا يكلك في فعل الحسنات وترك السيئات إلى نفسك، وقد أجمع العارفون على أن كل خير فأصله بتوفيق الله للعبد، وكل شر فأصله خذلانه لعبده، وأجمعوا أن التوفيق أن لا يكلك الله إلى نفسك، وأن الخذلان هو أن يخلي بينك وبين نفسك، فإذا كان كل خير فأصله التوفيق وهو بيد الله لا بيد العبد، فمفتاحه الدعاء والافتقار وصدق اللجأ والرغبة والرهبة إليه، فمتى أعطى العبد هذا المفتاح فقد أراد أن يفتح له، ومتى أضله عن المفتاح بقي باب الخير مرتجًا دونه، وما أتي من أتي إلا من قبل إضاعة الشكر وإهمال الافتقار والدعاء، ولا ظفر من ظفر بمشيئة الله وعونه إلا بقيامه بالشكر وصدق الافتقار والدعاء، قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إني لا أحمل هم الإجابة، ولكن هم الدعاء، فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه». [الفوائد ص٩٧].

ولله دره من كلام جميل يدفع إلى صدق اللجأ والتضرع إلى الله بالدعاء، مع الرغبة والرهبة، ومن كان كذلك استجاب الله دعاه وأعطاه ما يتمناه، كما وقع لنبي الله زكريا عليه السلام الذي بلغ من الكبر عتيًا، وكانت امرأته عاقرًا، ولما توجه إلى الله بالدعاء مع الصدق والرغبة والرهبة، والإقبال على الطاعة ولزوم الاستقامة أجاب الله سؤاله، ورزقه الولد، قال الله تعالى: «وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا

أجمع العارفون على أن كل خير فأصله بتوفيق الله للعبد، وكل شر فأصله خذلانه لعبده، وأجمعوا أن التوفيق أن لا يكلك الله إلى نفسك، وأن الخذلان هو أن يخلي بينك وبين نفسك.

لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ » [الأنبياء: ٨٩- ٩٠]، وهذا من فضل الله وعظمته ورحمته بعباده، حيث هيّأ لهم الأسباب ووفقهم إلى عمل الطاعات، وألهم الله زكريا الدعاء، ثم تفضل بالجواب، والآية أفادت أن الله استجاب دعاءه، وزوجه عاقر وهو كبير السن، بسبب المسارعة في فعل الطاعات والخيرات مع الإلحاح على الله بالدعاء المقارن للخوف والرغبة، وما أعظم من قام ذلك في قلبه. وقد ورد في تفسير هذه الآية أثر عن عبد الله بن حكيم قال: خطبنا أبو بكر رضي الله عنه ثم قال: أما بعدُ، فإني أوصيكم بتقوى الله، وأن تثنوا عليه بما هو له أهل، وتخلطوا الرغبة بالرهبة، وتجمعوا الإلحاف بالمسالة، فإن الله عز وجل أثنى على زكريا وأهل بيته فقال: «إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ» [الأنبياء: ٩٠]. (تفسير ابن كثير ج٣/٢٦٧).

ولابن الجوزي رحمه الله كلمات حول هذا المعنى تحث على الطلب والدعاء، مع التوبة والإنابة، والاستمرار على ذلك، فيقول: «إذا وقعت في محنة يصعب الخلاص منها فليس لك إلا الدعاء واللجأ إلى الله بعد أن تقدم التوبة من الذنوب؛ فإن الزلل يوجب العقوبة، فإن أزال الزلل بالتوبة من الذنوب ارتفع السبب، فإذا تُبت ودعوت ولم تر للإجابة أثرًا فتفقد أمرك، فربما كانت التوبة ما صحت، فصححها، ثم ادع ولا تمل من الدعاء، فربما كانت المصلحة في تأخير الإجابة، فأنت تثاب وتجاب إلى منافعك، ومن منافعك أن لا تُعطى ما طلبت، بل تعوض غيره.

فإذا جاءك الشيطان فقال: إلى متى تدعو ولا تجاب؟ فقل: أنا أتعبد بالدعاء، وأنا موقن أن الجواب حاصل، غير أنه ربما كان تأخيره لبعض المصالح مناسب، ولو لم يحصل التعبد والذل، فإياك أن تسأل شيئًا إلا وتقرنه بسؤال الخيرة، فرب مطلوب من الدنيا كان حصوله سببًا للهلاك، وإذا كنت قد أُمرت بالمشاورة في أمور الدنيا لجليسك ليبين لك في بعض الآراء ما يعجز رأيك، وترى أن ما وقع لك لا يصلح، فكيف لا تسأل الخير ربك وهو أعلم بالصالح؟! والاستخارة من جنس المشاورة». [صيد الخاطر ص٣٨٩، ٣٩٠].

والدعاء كما ينفع الأحياء، فهو كذلك للأموات الذين أفضوا إلى ربهم، بل هم من أحوج الناس إلى الدعاء بعد أن واراهم التراب، وانقطعت بهم الأسباب، وصلاة الجنازة دعاء من الحي للميت، وشفاعة له، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر فيها من الدعاء للأموات، يقول الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد: «وأما بعد الممات- يعني الدعاء- فهو من الصلات التي يصل بها المسلمُ المسلمَ: «رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ» [الحشر: ١٠]، وفي الحديث الصحيح: «أو ولد صالح يدعو له» صحيح مسلم. وهو والصدقة يصلان إلى الميت بالإجماع. [تصحيح الدعاء ٢١].

ومن هنا فإني أذكر نفسي وإخواني بالدعاء للوالدين؛ لأن حقهما عظيم، والبر بهما واجب حتى بعد الممات، والدعاء والاستغفار- مع يسرهما- من أفضل أنواع البر بهما، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الرجل لترفع درجته في الجنة، فيقول: أنى لي هذا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك». وهو حديث حسن. انظر الصحيحة (١٥٩٨).

والدعاء ينقسم إلى نوعين: دعاء مسألة، ودعاء عبادة، فدعاء المسألة: أن يطلب الداعي حاجته وما ينفعه ويكشف ضره من ربه كأن يقول: أعطني، ارزقني، ودعاء العبادة: أن تتعبد الله بما شرع، من صلاة وزكاة، وبر، وصلة، وغير ذلك، والعبادة دعاء؛ لأن المتعبد لله طالب بلسان حاله ومقاله من ربه قبول تلك العبادة والإثابة عليها.

ومن أعظم ما يدخل فيها: ذكر الله وحمده والثناء عليه بما هو أهله، ولهذا لو سألت أي عابد مؤمن: ما قصدك بصلاتك وصيامك وحجك؟ لكان قلب المؤمن ناطقًا قبل أن يجيبك لسانه: قصدي رضا ربي ونيل ثوابه، والسلامة من عقابه.

يقول ابن تيمية: «ولفظ دعاء الله في القرآن يراد به دعاء العبادة، ودعاء المسألة، فدعاء العبادة يكون الله هو المراد به، ودعاء المسألة يكون العبد المراد منه» أي: من الله تعالى. [انظر النبوات ج١/٤٤١].

ويقول الشيخ السعدي: «وكل ما ورد في القرآن من الأمر بالدعاء، والنهي عن دعاء غير الله، والثناء على داعيه يتناول دعاء المسألة ودعاء العبادة، وهذه قاعدة نافعة، فإن أكثر الناس إنما يتبادر لهم من لفظ الدعاء- دعاء المسألة فقط-، ولا يظنون دخول جميع العبادات في الدعاء، وهذا خطأ جرهم إلى ما هو شر منه، فإن الآيات صريحة في شموله لدعاء المسألة ودعاء العبادة». [القواعد الحسان: ١٥٤، ١٥٥].

ونوعا الدعاء متلازمان، ذلك أن الله يُدعَى لجلب النفع ودفع الضر دعاء المسألة، ويُدعى خوفًا ورجاء دعاء العبادة، فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة، أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يوفقنا لكلا النوعين، وهو المجيب لمن دعاه، وصلى الله وسلم على حبيبه ومصطفاه.

كلمة التحرير

عقائد باطلة..

وفِتَنٌ تَمُدُّ

أعناقها!!

بقلم

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@YAHOO.COM

الحمد لله مُعزّ من أطاعه واتقاه، ومُذلُّ من خالف أمره وعصاه، وبعد:

في مصر المسلمة عاش شعبها المسلم، على مر العصور، شعبًا مؤمنًا على أرض طيبة، تلفظ أصحاب العقائد الفاسدة، عاش معهم وفي كنف الإسلام شركاء في الوطن من النصارى واليهود، ينعمون في ظل سماحة وعدالة الإسلام، ولا يخفى على كل صاحب بصيرة ما يحدث ويقع على أرض مصر صباح مساء، ممن ينتسبون إلى جماعات ومسميات استباحت سفك الدماء، واستحلتها، وأصبح التفجير والقتل والتدمير، وقطع الطرق، ديدنها، تنشر فكر التكفير، وتستبيح معه كل شيء.

ومع تعاظم الفتن التي أضحت تنخر في بنيان الشعب المصري، ويُستباح معها كل شيء، تنتشر الأفكار الهدامة بعد أن اندثرت واضمحلت في السنوات الماضية، وسرعان ما عادت تُطل برأسها عندما تهيأ لها مناخ الفتن البغيضة والصور الضبابية الكئيبة، فأصبحنا نرى على أرض مصر تفجيرات انتحارية، وأعمال قتل وترويع، ووقفات احتجاجية تضرب الأخضر واليابس، وحرق للسيارات، وتدمير للمباني والمنشآت، وحسبنا الله ونعم الوكيل!!

مفاسد كبيرة.. وشرور عظيمة!!

لقد آلت أحوال البلاد والعباد إلى مدى مؤلم، وحدٍّ يصيب الإنسان بالكآبة والألم والحزن على ما وصلت إليه الأحوال في مصر.

وإن القلب ليحزن، وإن العقل ليذهل حين يرقب المسلم هذه الأحداث من تفجيرات وقتل وقنص، وتربص، من أقوام ضلوا الطريق، وتلوثت عقولهم بأفكار خاطئة، وأعمال -مهما كان فاعلها ومهما كانت حُجته ودوافعه- تتضمن مفاسد كبيرة وشرورًا عظيمة، فيها قتل الأنفس المسلمة وغير المسلمة ظلمًا وعدوانًا، رغم الوعيد الشديد في ذلك، قال الله تعالى: «وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا » [النساء : ٩٣]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم». [سنن الترمذي، ١٣٩٥، وصححه الألباني].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لن يزال المؤمن في فُسْحَة من دينه ما لم يُصب دمًا حرامًا». [صحيح البخاري: ٦٨٦٢].

وحين قتل أسامة بن زيد رجلًا تأولًا بعد أن سمعه ينطق بالشهادة، وقد ظنّه متعوذًا بذلك، قال له صلى الله عليه

وسلم: «أقتلته بعد أن قال: لا إله إلا الله؟!» [صحيح البخاري ٤٢٦٩].

إن ما يقع على أرض مصر من أعمال شريرة تحصد عشرات الأرواح دون حق هي أفعال مستهجنة شنعاء، تتضمن البَغي والظلم، فليس من أخلاق المؤمن الإقدام على تفجير نفسه وقتل الغير، وقطع الطرق على المسلمين، وتهديدهم بالسلاح، وحرق السيارات، وإشعال الحرائق وتفجيرات المنشآت، وشلّ حركة المواصلات، وتعطيل مصالح العباد، وقطع أرزاقهم، وإثارة الفوضى والهلع، وتعطيل الدراسة في المدارس والجامعات؛ إذ إن ذلك من أخلاق قُطاع الطرق المفسدين في الأرض، وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن شرب سُمًّا فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا». [صحيح مسلم ١٠٩].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح؛ فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار». [صحيح البخاري: ٧٠٧٢].

إن هذه الأعمال الإجرامية التي استباحت كل شيء فاستباحت الدماء وأهدرتها، تريد نشر الفوضى، تشيع الهلع وتثير الفزع، تروّع الناس، وتؤجج نار الكراهية، وتشعل شرارة فتنة داخلية، تدمر فيها الطاقات، وتُهدر فيها المكتسبات، وتُشتت الجهود، وتعيق بناء الخير والتنمية، وتعطل مشاريع الإصلاح، وتُقوض أركان البلاد، وتدمر الأخضر واليابس.

المؤمن أعظم حرمة عند الله من الكعبة

إن انتشار هذه الأفكار السامة، والعقائد الفاسدة، ودأب أصحابها على إيذاء المسلم ومكايدته، وإلحاق الشرّ به، وتهديده وترويعه وابتزازه، وتتبع عورته، ونشر هفوته، وإرادة إسقاطه وفضيحته، وتكفيره وتبديعه، وتفسيقه وقتاله، وحمل السلاح عليه، وسلبه ونهبه، وإيصال الأذى إليه بأيِّ حال من الأحوال، لا يفعله إلا دنيء مهين، لئيم وضيع ذميم، قد شحن جوفه بالبغضاء والضغينة، وملأ صدره بالكراهية والعداء، ينصب الشَّرك ويربي سهام الخوف، دأبه أن يُحزن أخاه ويؤذيه، وهمّه أن يُهلكه ويرديه، وكفى بذلك إثمًا وذنبًا، وفسوقًا، فعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: صَعدَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المِنْبَرَ فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِه، وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِه، لا تُؤْذُوا المُسْلِمِينَ، وَلا تُعَيِّرُوهُمْ، وَلا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ المُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِه» ، قَالَ : وَنَظَرَ ابْنُ عُمَرَ يَوْمًا إِلَى البَيْتِ أَوْ إِلَى الكَعْبَةِ، فَقَالَ: مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ، وَالمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْدَ اللهِ مِنْكِ». [أخرجه الترمذي ٢٠٣٢ وصححه الألباني].

إن الدنيا ليست دار مقر، بل هي دار ممر، فمنك أن تستقر قدم العبد في هذه الدار، فهو مسافر إلى ربه، ومُدَّةُ سفره هي عمره الذي كُتب له، ثم جُعلت الأيام والليالي مراحل لسفره، فالكيِّس الفَطِن هو الذي يجعل كل مرحلة نُصب عينيه، فيهتم بقطعها سالمًا غانمًا، فإذا قطعها جعل الأخرى نصب عينيه.

وعن سهل بن معاذ عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ رَمَى مُسْلِمًا بِشَيْءٍ يُرِيدُ شَيْنَهُ بِهِ (أي: عَيْبَه) حَبَسَهُ اللهُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ». [أخرجه أبو داود ٤٨٨٥، وحسنه الألباني].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ، وَلا يَخْذُلُهُ، وَلا يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هَا هُنَا »، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ المُسْلِمَ؛ كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ». [أخرجه مسلم ٢٥٦٤].

فيا أيها المؤذي المعتدي العيّاب، يا من دَيْدَنه الهمز واللمز والغمز، والتجسس والتحسس والتلصص، كُفَّ أذاك عن المسلمين، واشتغل بعيبك عن عيوب الآخرين، وتذكر يومًا تُوقف فيه بين يدي رب العالمين.

قال يحيى بن معاذ -رحمه الله-: «ليكن حظ المؤمن منك ثلاثة: إن لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تفرحه فلا تغمه، وإن لم تمدحه فلا تذمه».

حرّم الله الظلم على نفسه

فيا من ماتت ضمائركم، وغلظت قلوبكم، وقد هانت بين أيديكم الدماء، واستحللتم الأعراض، خربتم البلاد، حُلتم بين أرزاق العباد، اعلموا أن الذنوب والمعاصي تعظم عقوباتها، ويتسع شرها وفسادها، وأن الظلم من الذنوب العظام والكبائر الجسام، يحيط بصاحبه ويُدمره، ويُفسد عليه أمره، ويُغير عليه أحواله، ويدركه شؤمه وعقوبته في الدنيا والآخرة.

ولأجل كثرة مضار الظلم وعظيم خطره وتنوع مفاسده، وكبير شره حرَّمه الله بين عباده، فقال تعالى في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلَا تَظَالَمُوا». [مسلم ٢٥٧٧].

فالله سبحانه قد حرَّم الظلم على نفسه -وهو يقدر عليه- تكرمًا وتفضلاً وتنزيهًا لنفسه عن نقيصة الظلم، فإن الظلم لا يكون إلا من نفس ضعيفة لا تقوى على الامتناع على الظلم، ولا يكون الظلم إلا من حاجة إليه، والله سبحانه منزَّه عن ذلك، فهو القوي العزيز الغني عن خلقه.

وحرَّم الله الظلم بين عباده ليحفظوا بذلك دينهم، ويحفظوا دنياهم، ويصلحوا آخرتهم ودنياهم.

والظلم يَضُرُّ الفرد ويهلكه ويوقعه في كل ما يكره، ويرى بسبب الظلم ما يسوؤه في كل ما يحب، الظلم يخرب البيوت العامرة، ويدع الديار خاوية.

ولقد حذرنا الله من الظلم غاية التحذير، وأخبرنا سبحانه بأن هلاك القرون الماضية كان بسبب ظلمهم لأنفسهم لنحذر أعمالهم، فقال تعالى: «وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (١٣) ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ» [يونس: ١٣، ١٤].

الدنيا عرض زائل.. فحاسب نفسك قبل أن تحاسب!!

إن الله سبحانه قد أجار هذه الأمة الإسلامية من الاستئصال العام، ولكنها تُبتلى بعقوبات دون الهلاك العام؛ بسبب ذنوب تقع من بعض المسلمين، وتشيع حتى لا تُنكر، ولا ينزجر عنها أصحابها، كما قال الله تعالى: «وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» [الأنفال: ٢٥].

> لن يكون للباطل نماء، ولا لأهل الزيغ بقاء مادمنا للحق دعاة وللعالم هداة، وللخير بناة، ومتى كنا آمرين بالمعروف صدقًا، ناهين عن المنكر حقًّا، فإن الباطل إلى اندحار، وأهله إلى انحدار، والحق إلى ظهور وانتشار.

وإن ما يحدث على أرض مصر وبين شعبها، وبأيدي أبنائها، والمتآمرين من أعدائها، الذين يشعلون الفتن، ويضعون الخطط والمؤامرات على مصر وشعبها، فما بين فتنة يؤججونها بحقد وغل للنَّيل من نيلها وشريان حياتها في مجرى نهر النيل عبر السد الإثيوبي، وقتل المصريين في ليبيا، والتخابر والتجسس من كل دول العالم، وتنفيذ الخطط والمؤامرات الإسرائيلية بدعم وتمويل وتخطيط من أمريكا ورفقاء السوء الذين يؤازرونها ويدورون في فلكها.. وهذا كله يدفع كل مسلم يعيش على أرض مصر أن يتذكر أن البلاد تُدمر، واقتصادياتها تخرب، والحالة من سيئ لأسوء، والكرسي زائل، وسوف نقف أمام رب عظيم سيحاسبنا على الفتيل والقطمير، سيقف أمامه الملك والوزير، والفقير والغفير، لن تنفعكم المناصب ولا الكراسي، فلنعد إلى ربنا قبل فوات الأوان، فعمر الدنيا في جانب الآخرة قليل، قال الله تعالى: «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» [الرحمن: ٢٦، ٢٧]، وقال الله تعالى: «وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ» [الرعد: ٢٦]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم، فلينظر بماذا يرجع». [صحيح مسلم ٢٨٥٨].

إن الدنيا ليست دار مقر، بل هي دار ممر، فمنذ أن تستقرَّ قدم العبد في هذه الدار، فهو مسافر إلى ربه، ومُدَّةُ سفره هي عمره الذي كُتب له، ثم جُعلت الأيام والليالي مراحل لسفره، فكل يوم وليلة مرحلة من المراحل، فلا يزال يطويها مرحلة بعد مرحلة حتى

ينتهي السفر، فالكيّس الفطن هو الذي يجعل كل مرحلة نُصب عينيه، فيهتم بقطعها سالمًا غانمًا، فإذا قطعها جعل الأخرى نصب عينيه، وهكذا.

وقد وصف القرآن الكريم الدنيا كزهرة بنضارتها، تسحر الألباب، تستهوي القلوب، ثم لا تلبث إلا برهة حتى تذبل وتتلاشى تلك النضارة، وتحطمها الريح، كأنها لم تكن، هذا مثل الدنيا، زهرة فتانة غرارة تخدع وتغري، فإذا أقبلت عليها النفوس وتعلقت بها الألباب انتهت أيامها واستحالت نضرتها إلى هشيم، فغدت نعمتها غرورًا، وصدق الله القائل: « وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَٰحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَالْبَٰقِيَٰتُ الصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا » [الكهف : ٤٥- ٤٦].

فالدنيا في مفهوم الإسلام وسيلة وذريعة لتحصيل مقاصد الشرع ومطية للآخرة، فإنها إذا فسدت فربما أدى فسادها إلى إنقاص الدين، فلا شك أن الدين سيضعف إذا وصل حال أهلها إلى قلة الأمن، وقلة الرزق، وكثرة القتل، فلا يُقبل والحال هذه أن يقول مسلم: أنا أحفظ ديني وأدع الدنيا يُعبث بها ويُفسَد فيها؛ لأن من صلحت حاله مع فساد الدنيا، واختلال أمورها، لن يعدم أن يتعدى إليه فسادها، ويقدح فيها اختلالها؛ لأنه منها يستمد، ومن فسدت حاله مع صلاح الدنيا وانتظام أمورها لم يجد لصلاحها لذة، ولا لاستقامتها أثرًا؛ لأن الإنسان دنيا نفسه، قال الله تعالى: « وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَىٰكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ » [القصص : ٧٧].

فحاسب نفسك قبل الوقوف أمام علام الغيوب، وراجع أعمالك قبل فوات الأوان، وصدق من قال: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا».. فهل ترى كل منا يحاسب نفسه؟!

التوبة من أسباب رفع البلايا

إن ما يحدث على أرض مصر هو بسبب ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وما فعله السفهاء منا، فأظهروا الحاجة والاضطرار، والمسكنة والافتقار، واصدقوا في التوبة والاعتذار إلى الله الواحد القهار، فما نزل بلاءٌ إلا بذنب، ولا رُفع إلا بتوبة!!

فيا أمة -بسبب ضعفها وهوانها- تجرأ عليها الصغار، فما كان لدولة مثل إثيوبيا ممثلة للتحالف الإسرائيلي الأمريكي أن تخطو تلك الخطوات متدخلة لضرب مصر في أعز ما تملك؛ في نهر النيل شريان حياتها، ما كان ليحدث ذلك إلا بسبب ذنوبنا..

> لقد آن للمنكرات أن تُنكر، وآن لقنوات الفتنة أن تُمنع وتُغلق، وآن لدين الله أن يُنصر، وآن للمسلمين في أنحاء مصر أن يتذكروا قول سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم: « مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ».

لقد آن للمنكرات أن تُنكر، وآن لقنوات الفتنة أن تُمنع وتُغلق، وآن لدين الله أن يُنصر، وآن للمسلمين في أنحاء مصر أن يتذكروا قول سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم: « مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ»، وفي لفظ: « مَنْ أَرْضَى اللَّهَ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ النَّاسَ، وَمَنْ أَسْخَطَ اللَّهَ بِرِضَى النَّاسِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ». [أخرجه ابن حبان (١٥٤٢) وصححه الألباني].

إن من رام هدًى في غير الإسلام ضلّ، ومن رام إصلاحًا بغير الإسلام ذل، ومن رام عزًا في غير الإسلام ذل، ومن أراد أمنًا بغير التوحيد ضاع أمنه واختل، وصدق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عندما قال: «نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فمتى ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله». [مستدرك الحاكم (٦١/١-٦٢) وصححه الألباني].

ولن يكون للباطل نماء، ولا لأهل الزيغ بقاء مادمنا للحق دعاة وللعالم هداة، وللخير بناة، ومتى كنا آمرين بالمعروف صدقًا، ناهين عن المنكر حقًا، فإن الباطل إلى انحدار، وأهله إلى انحدار، والحق إلى ظهور وانتشار.

فاللهم كن لمصر على أعدائها ناصرًا، ولشعبها من الفتن مُسَلمًا، ومن المحن منجيًا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

باب التفسير

سورة فصلت

الحلقة الرابعة

« وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ (٢٩) إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ (٣٢) وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ (٣٣) وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ» [فصلت: ٢٩- ٣٦].

إعداد
د. عبد العظيم بدوي

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

« وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ»:

أهل النار قسمان: أكابر متبوعون، وضعفاء تابعون، وكان الأكابر سببًا في كفر الضعفاء، فلما اجتمعوا في النار، قال الضعفاء: «رَبَّنَا أرنَا الذَيْنِ أضلانَا منَ الجنِ وَالإنس نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدامنا لِيَكونا مِنَ الأَسْفَلِينَ» في النار، ليذوقوا شديد العذاب؛ لأن النار دركات، أعلاها أخفها عذابًا، وأسفلها أشدها عذابًا، وقد تكرر سؤالهم هذا في أكثر من موضع، ولم يغن عنهم شيئًا، قال تعالى: « قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ (٣٨) وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ» [الأعراف: ٣٨- ٣٩]، وقال تعالى: « إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٦٥) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ (٦٦) وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ (٦٧) رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا» [الأحزاب: ٦٤- ٦٨]، وقال تعالى: « هَـٰذَا وَإِنَّ لِلطَّـٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ (٥٦) هَـٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧) وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ (٥٨) هَـٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ (٥٩) قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ (٦٠) قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَـٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ (٦١) وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ (٦٢) أَتَّخَذْنَـٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ

عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ » [ص: ٥٥- ٦٤].

حقيقة الإيمان:

إن الإيمان ليس مجرد كلمات تُنطق، ولا حروف يترجمها اللسان، ولكن الإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب والأركان. والمراد بقول القلب: الاعتقاد، والمراد بقول اللسان النطق والإقرار، والمراد بعمل القلب: الأعمال الباطنة، من نحو الإخلاص، والإيمان، والإحسان، والتقوى، والخشية، والرهبة والرغبة، والخوف والرجاء، والمحبة والإنابة، والتوكل.

والمراد بعمل الأركان: الأعمال الظاهرة؛ من الصلاة والزكاة، والحج والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبر الوالدين وصلة الأرحام.

فهذه هي حقيقة الإيمان، قول وعمل، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

قال تعالى: «لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ » [البقرة: ١٧٧].

حقيقة الاستقامة:

وقوله تعالى هنا: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا» مجمل لهذا المفصل في سورة البقرة، فالقول هو قول القلب واللسان، كما ذكرنا، والاستقامة هي عمل القلب والأركان كما بيّنا.

وللعلماء في قوله تعالى: «ثُمَّ اسْتَقَامُوا» قولان:

ثم استقاموا على هذا القول «رَبُّنَا اللَّهُ» حتى ماتوا عليه، وكان آخر كلامهم لا إله إلا الله، وبهذا وصى الله تعالى، فقال: يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ » [آل عمران: ١٠٢].

لقد علم الله تعالى أن من الذين قالوا ربنا الله من سيرجع عن هذا القول ويتخلى عنه، فقال سبحانه محذرًا عباده: «مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ » [المائدة: ٥٤]. فنسأل الله تعالى أن يربط على قلوبنا، ويثبت الإيمان في صدورنا.

والقول الثاني في قوله تعالى: «ثُمَّ اسْتَقَامُوا» أي لم يروغوا روغان الثعلب، وإنما استقاموا على صراط الله المستقيم، ففعلوا الواجبات، وتركوا المحرمات.

ومعنى ذلك أن الذين قالوا ربنا الله ولم يصلوا لم يستقيموا.

والذين قالوا ربنا الله ولم يصوموا لم يستقيموا. والذين قالوا ربنا الله ولم يزكوا لم يستقيموا.

والذين قالوا ربنا الله ولم يحجوا لم يستقيموا.

والذين قالوا ربنا الله وعقوا آباءهم لم يستقيموا.

والذين قالوا ربنا الله وقطعوا أرحامهم لم يستقيموا.

والذين قالوا ربنا الله وأكلوا الربا لم يستقيموا.

والذين قالوا ربنا الله وشربوا الخمر لم يستقيموا.

والذين قالوا ربنا الله وزنوا لم يستقيموا.

فما أحوجنا في هذه الأيام إلى الاستقامة على دين الله، فإنها سبب الخروج من كل الأزمات التي يعاني منها الناس اليوم، قال تعالى: «وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا » [الجن: ١٦- ١٧].

جزاء أهل الاستقامة :

إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا «يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ » [التوبة: ٢١]، تحمل إليهم هذه البشرى الملائكة، كما قال تعالى: «تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ» عند الموت، وفي القبر، ويوم البعث،

«أَلاَّ تَخَافُوا» مما أنتم قادمون عليه، ونفي الخوف يستلزم ثبوت الأمن، «وَلاَ تَحْزَنُوا» على ما تفارقون من أهل ومال وولد، ونفي الحزن يستلزم ثبوت الفرح والسرور، «وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ» على ألسنة الرسل، «نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ» أي تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار: نحن كنا أولياءكم في الحياة الدنيا، أي قرناءكم في الحياة الدنيا، نسددكم ونوفقكم، ونحفظكم بأمر الله، وكذلك نكون معكم في الآخرة، نؤنس منكم الوحشة في القبور، وعند النفخة في الصور، ونؤمنكم يوم البعث والنشور، ونجاوز بكم الصراط المستقيم، ونوصلكم إلى جنات النعيم، «وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ» أي في الجنة من جميع ما تختارون مما تشتهيه النفوس وتقر به العيون، «وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ» أي مهما طلبتم وجدتم وحضر بين أيديكم كما اخترتم، «نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ»، أي ضيافة وعطاء وإنعامًا من غفور لذنوبكم، رحيم بكم رءوف، حيث غفر وستر ورحم ولطف. [تفسير ابن كثير(٤/٩٩)].

ولولا مغفرته ورحمته ما دخلتم جنته، كما في الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ". قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: "لاَ، وَلاَ أَنَا إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَلاَ يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزْدَادَ خَيْرًا، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتِبَ» [صحيح البخاري: ٥٦٧٣].

فضل الدعوة إلى الله:

«وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ»:

لما حض الله تعالى على الاستقامة ورغب فيها، ذكر فضل الدعوة إلى الاستقامة؛ ليفيد أن استقامة الإنسان في نفسه لا تكفي لكمال نجاته، بل عليه أن يدعو غيره إلى الاستقامة، كما صرح ربنا سبحانه بذلك في أكثر من موضع، قال تعالى: «وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ② إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ » فاستقاموا في أنفسهم، «وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ » أي دعوا غيرهم إلى الاستقامة، «وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ » [العصر: ١- ٣]، وقال تعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ » [المائدة: ١٠٥]، أي: إذا أمرتم بالمعروف، ونهيتم عن المنكر، إذا استقمتم في أنفسكم، ودعوتم غيركم إلى الاستقامة فلم يستجيبوا لكم، فليس عليكم من آثامهم شيء. ولما فهم بعض السلف من الآية أنه لا يضره من ضل وإن لم يدعُه إلى الهدى، قام الصديق رضي الله عنه فصحَّح المفاهيم:

عَنْ إِسْمَاعِيلَ عَنْ قَيْسٍ قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه بَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الآيَةَ وَتَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوَاضِعِهَا « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ » [المائدة: ١٠٥]، وَإِنَّا سَمِعْنَا النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ" [سنن الترمذي ٥٠٥٠ وصححه الألباني].

فإذا رُزقت الاستقامة فكن داعيًا إلى الاستقامة. وإذا رُزقت الهدى فكن داعيًا إلى الهدى. وإذا رُزقت الصلاح فكن داعيًا إلى الصلاح، وهكذا.

واعلم أن الدعوة هي أشرف الوظائف على الإطلاق؛ لأنها وظيفة المصطفين الأخيار من الرسل وأتباعهم، قال الله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم: « قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ » [يوسف: ١٠٨].

«وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً» استفهام إنكاري، ومعناه: لا أحد أحسن قولا «مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ»، فأحسن الأقوال الدعوة إلى الله، وأحسن الكلام الكلامُ في الدعوة إلى الله، وقد بيَّن صلى الله عليه وسلم فضل الدعوة في أحاديثه الشريفة:

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: إِنِّي أُبْدِعَ بِي فَاحْمِلْنِي. فَقَالَ: "مَا عِنْدِي". فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ: أَنَا أَدُلُّهُ عَلَى مَنْ يَحْمِلُهُ، فقال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ» [صحيح

مسلم: ١٨٩٣].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا» [صحيح مسلم: ٢٦٧٤].

ويوم خيبر أعطى النبي صلى الله عليه وسلم الراية لعلي رضي الله عنه وقال له: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ» [صحيح البخاري: ٣٧٠١].

فليحرص كل مسلم أن يكون داعية إلى الله، ابتغاء مرضاة الله.

وقوله تعالى: «وَعَمِلَ صَالِحًا»: فهو توكيد على الداعية على الاجتهاد في صالح الأعمال، وأن لا ينشغل بالدعوة عن العمل في نفسه، فإن الدعوة بالعمل أبلغ من الدعوة بالقول، ولذلك قيل: عمل رجل في ألف رجل، خير من قول ألف رجل لرجل.

وفي توسيط الدعوة بين الاستقامة والعمل ما يؤكد على ضرورة استقامة الداعية في نفسه، واجتهاده في طاعة ربه، حتى لا يدخل في عموم قول الله تعالى: «أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ» [البقرة: ٤٤].

وقوله تعالى: «وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ المُسْلِمِينَ» فيه إشارة إلى اعتزاز الداعية الذي استقام على دين الله، ودعا إلى الله، واعتز بهذا الدين، وبهذا العمل، وبهذه الدعوة، وقال بكل فخر واعتزاز: إنني من المسلمين لله، المنقادين لأمره.

أخلاق الدعاة:

«وَلَا تَسْتَوِي الحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ»:

إنه لا بد للداعية من التخلق بمكارم الأخلاق، حتى يستطيع تبليغ دعوته، وحتى يقبلها المدعوون، ومن أهم هذه الأخلاق: الحلم، والصبر، والصفح، والعفو، والإحسان.

قال ابن عباس في تفسير هذه الآية: أمر الله تعالى المؤمنين بالصبر عند الغضب، وبالحلم عند الجهل، وبالعفو عند الإساءة. [جامع البيان(١١٩/٢٤)].

فعلى الداعية أن يحلم على من يجهل عليه، وأن يعفو عمن ظلمه، وأن يحسن إلى من أساء إليه.

قال الله تعالى: «خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ» [الأعراف: ١٩٩]، وقال تعالى: «وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» [آل عمران: ١٣٣-١٣٤]، وقال تعالى: «وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ» [الرعد: ٢٢- ٢٤].

فنجاح الداعية في دعوته متوقف على مكارم أخلاقه، ولذلك قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ» [آل عمران: ١٥٩].

«وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ»:

يقول تعالى ذكره: وإما يلقين الشيطان في نفسك وسوسة من حديث النفس، إرادة حملك على مجازاة المسيء بالإساءة، ودعائك إلى مساءته، فاستجر بالله، واعتصم من خطواته، إن الله هو السميع لاستعاذتك منه واستجارتك به من نزغاته، ولغير ذلك من كلامك وكلام غيرك، العليم بما ألقى في نفسك من نزغاته، وحدثتك به نفسك، وبما يذهب ذلك من قلبك، وغير ذلك من أمورك وأمور خلقه. [جامع البيان(١٢٠/٢٤)].

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

القلوب والفتن

الحلقة الثانية

د. جمال المراكبي

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد: فقد رأينا في المقال السابق كيف تكون القلوب حال الفتن، وكيف تنقسم إلى قسمين: أبيض ناصع صلب وصلد قد عصمه الله تعالى لا تثنيه عن الحق فتنة.

وآخر أسود مرباد قد خالط بياضه سواد، اختلط عليه الحق والباطل فأصبح عاجزًا عن التمييز لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرًا إلا ما أُشرب من هواه.

وصدق رسولُ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ: «تُعْرَضُ الفِتَنُ عَلَى القُلُوبِ كَعَرْضِ الحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَت فيه نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَت فيه نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَعُودَ القُلُوبُ عَلَى قَلْبَيْنِ: قلب أَسْوَدَ مُرْبَادًا كَالكُوزِ مُجَخِّيا لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلا يُنْكِرُ مُنْكَرا؛ إلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ، وَقَلْبٍ أَبْيَضَ، فَلاَ تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ» [صحيح مسلم: ١٤٤].

وهذه هي القسمة الثنائية للقلوب بعد عرض الفتن، ومدى تأثيرها على قلوب بني آدم.

وقد ذكر لنا ربنا تبارك وتعالى في القرآن قسمة أخرى للقلوب، وهي: قلب حي سليم مخبت لين واعٍ، وقلب يابس ميت قاس، والثالث مريضٌ، فإما إلى السلامة أدنى، وإما إلى العطب أدنى.

قال الله جل وعلا: «وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ» [الحج: ٥٢- ٥٤].

فجعل الله سبحانه وتعالى القلوبَ في هذه الآيات ثلاثة: قلبين مفتونين، وقلبًا ناجيًا. فالمفتونان: القلب الذي فيه مرض، والقلب القاسي. والناجي: القلب المؤمن المخبت إلى ربه المطمئن إليه، المستسلم المنقاد، ولهذا القلب سمات وأوصاف نتحدث عنها في هذا اللقاء.

سمات القلوب المؤمنة الناجية:

أولا: قلوب سليمة: قال الله تعالى: «وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» [الشعراء: ٨٧- ٨٩].

وقال تعالى: «وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» [الصافات: ٨٣- ٨٤].

والقلب السليم هو المبرأ من الشرْك والكفر والنفاق والرياء، والدَّنس، والخطايا، وقدْ أَخْلَصَ الإيمانَ لله، فآمَنَ إيمانا صادقا أنه لا إله إلا الله، وأنَّ السَّاعَةَ آتيةٌ لا رَيْبَ فيها، وأنَّ الله يَبْعَثُ مَنْ في القُبُور.

قال ابن كثير: «إلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيم» أي: سالم من الدنس والشرك.

وقال محمد بن سيرين: القلب السليم الذي يعلم أن الله حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث مَنْ في القبور.

وقال ابن عباس: «إلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيم» حَيي يشهد أنَ لا إله إلا الله.

وقالَ مجاهد، والحسن، وغيرهما: «بِقَلْبٍ سَلِيم» يعني: من الشرك.

وقال سعيد بن المسيب: القلب السليم: هو القلب الصحيح، وهو قلب المؤمن؛ لأن قلب الكافر والمنافق مريض، قال الله: « فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ» [البقرة:١٠].

وقال أبو عثمان النيسابوري: هو القلب الخالي من البدعة، المطمئن إلى السنة.

ثانيا: قلوب منيبة

قال الله تعالى: « وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ » [ق: ٣١- ٣٣].

والقلب المنيب هو القلب السليم الخاضع لله المتواضع له الذي حقق الخشية من الله في السر والعلن والقول والعمل، فطوبى لمن كان له قلب مثل هذا القلب.

«مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ» أي: من خاف الله في سره: حيث لا يراه أحد إلا الله. كقوله عليه الصلاة والسلام: «ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه». (متفق عليه).

«وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ» أي: ولقي الله يوم القيامة بقلب سليم منيب إليه خاضع لديه.

ثالثا: قلوب مطمئنة

قال الله تعالى: « الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ» [الرعد: ٢٨- ٢٩].

قال الماوردي: فيه أربعة أوجه:

أحدها: بذكر الله بأفواههم، قاله قتادة.

الثاني: بنعمة الله عليهم. الثالث: بوعد الله لهم، ذكره ابن عيسى.

الرابع: بالقرآن، قاله مجاهد.

قال ابن القيم في مدارج السالكين: «الطمأنينة سكون القلب إلى الشيء وعدم اضطرابه وقلقه، ومنه الأثر المعروف: « الصدق طمأنينة والكذب ريبة»، أي: الصدق يطمئن إليه قلب السامع ويجد عنده سكونا إليه، والكذب يوجب له اضطرابًا وارتيابًا، ومنه قوله: (البر ما اطمأن إليه القلب) أي: سكن إليه وزال عنه اضطرابه وقلقه. وفي ذكر الله ها هنا قولان: أحدهما: أنه ذكر العبد ربه فإنه يطمئن إليه قلبه ويسكن، فإذا اضطرب القلب وقلق فليس له ما يطمئن به سوى ذكر الله.

والقول الثاني: أن ذكر الله هاهنا القرآن وهو ذكره الذي أنزله على رسوله به طمأنينة قلوب المؤمنين، فإن القلب لا يطمئن إلا بالإيمان واليقين، ولا سبيل إلى حصول الإيمان واليقين إلا من القرآن؛ فإن سكون القلب وطمأنينته من يقينه، واضطرابه وقلقه من شكه، والقرآن هو المحصل لليقين، الدافع للشكوك والظنون والأوهام فلا تطمئن قلوب المؤمنين إلا به، وهذا القول هو المختار، وكذلك القولان أيضا في قوله تعالى: « وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ » [الزخرف: ٣٦]، والصحيح: أن ذكره الذي أنزله على رسوله وهو كتابه من أعرض عنه: قيض له شيطانا يضله ويصده عن السبيل وهو يحسب أنه على هدى.

والقلب المطمئن بذكر الله عز وجل يورث النفس طمأنينة ورضى، قال الله تعالى « يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي» [الفجر: ٢٧- ٣٠].

رابعا: قلوب خاشعة تلين لذكر الله

قال تعالى: « أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٢) اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ» [الزمر: ٢٢- ٢٣].

الخشوع في اللغة: السكون والطمأنينة والانخفاض.

والخشوع في الشرع: خشية من الله تداخل القلوب، فتظهر آثارها على الجوارح بالانخفاض والسكون، كما هو شأن الخائف.

وقوله تعالى: «لذكْر الله»، الأظهر منه أن المراد خشوع قلوبهم لأَجَل ذكر الله، وهذا المعنى دل عليه قوله تعالى: « إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ » [الأنفال: ٢] أي: خافت عند ذكر الله، فالوجل المذكور في آية الأنفال هذه، والخشية المذكورة هنا معناهما واحد.

وقال بعض العلماء: المراد بذكر الله: القرآن، وعليه فقوله: «وَمَا نَزَلَ منَ الحق» من عطف الشيء على نفسه مع اختلاف اللفظين، كقوله تعالى:«سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ① ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ② وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ » [الأعلى: ١ - ٣].

وعلى هذا القول، فالآية كقوله تعالى: «ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ » [الزمر: ٢٣]، فالاقشعرار المذكور، ولين الجلود والقلوب عند سماع هذا القرآن العظيم المعبر عنه بأحسن الحديث، يفسر معنى الخشوع لذكر الله، وما نزل من الحق هنا كما ذكر. (أضواء البيان).

والخشوع يكون في القلب، ويبدو أثره على البدن، في السمع والبصر والعظم والعصب، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في ركوع الصلاة: (اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي). صحيح مسلم.

خامسًا: قلوب تقية مخبتة متواضعة لله:

قال الله تعالى: «وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ » [الحج: ٥٤].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: التقوى هاهنا، وأشار إلى صدره.

قال ابن عباس: المخبتون هم المتواضعون.

وقال مجاهد: المخبت المطمئن إلى الله عز وجل، قال: والخبت: المكان المطمئن من الأرض.

وقال الأخفش: الخاشعون.

وقال إبراهيم النخعي: المصلون المخلصون.

وقال الكلبي: هم الرقيقة قلوبهم.

وقد فسرت الآية المخبتين بما ورد بعدها أنهم: « ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ » [الحج: ٣٥].

سادسًا: قلوب وجلة:

قال الله تعالى: « إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ② ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ③ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ » [الأنفال: ٢- ٤].

قال مجاهد: «وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ» فرقت، أي: فزعت وخافت.

وهذه صفة المؤمن ، الذي إذا ذكر الله وجل قلبه، أي: خاف منه، ففعل أوامره، وترك زواجره. كقوله تعالى: « وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ » [آل عمران: ١٣٥]، وكقوله تعالى: «وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ④ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ» [النازعات: ٤٠، ٤١]، ولهذا قال سفيان الثوري: سمعت السدي يقول في قوله تعالى: «إنما المُؤْمنُونَ الذينَ إذا ذُكرَ اللّهُ وَجلَتْ قلوبُهُمْ» قال: هو الرجل يريد أن يظلم أو يهم بمعصية، فيقال له: اتق الله فيوجل قلبه.

والحمد لله رب العالمين.

إشهار

تشهد مديرية التضامن الاجتماعي بالشرقية، أنه قد تم إشهار فرع جمعية أنصار السنة المحمدية، بكفر صقر، تحت رقم (٣١٩٧) بتاريخ ٢٠١٤/١/٥م، وذلك طبقًا لأحكام القانون رقم ٨٤ لسنة ٢٠٠٢م ولائحته التنفيذية.

والله ولي التوفيق

طول الأمل وبغتة الأجل

إعداد/ د. مرزوق محمد مرزوق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

لا يعرف الدواء من لا يقف على الداء، وطالب الدنيا كشارب من ماء مالح، كلما شرب منه ازداد عطشا، وقد رأينا من جمع كثيرًا وبنى مشيدًا وأمّل بعيدًا، فأصبح جمعهم بورًا، وبنيانهم قبورًا، وأملهم غرورًا.

روى الإمام البخاري في صحيحه قال: حدثنا صدقة بن الفضل أخبرنا يحيى بن سعيد عن سُفيان قال حدثني أبي عن مُنذر عن ربيع بن خُثيم عن عبد الله رضي الله عنه قال: خطّ النبي صلى الله عليه وسلم خطا مربعا، وخط خطا في الوسط خارجا منه، وخط خططا صغارا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، وقال: هذا الإنسان، وهذا أجلُهُ مُحيط به أو قد أحاط به، وهذا الذي هو خارجٌ أملُه، وهذه الخُطط الصغارُ الأعْراض؛ فإنْ أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا.

أولا: العزو (مقتصرا على الكتب الستة):

١- (صحيح البخاري (٥/٢٣٥٩) رقم (٦٠٥٤)، في كتاب الرقاق، باب في الأمل وطوله.ط/دار ابن كثير)

٢- والترمذي (٤/٦٣٥) رقم (٢٤٥٦) في كتاب الزهد، باب أمل الإنسان وأجله (ط/دار إحياء التراث العربي - تحقيق: أحمد شاكر).

٣- وابن ماجه (٢/١٤١٤) رقم (٤٢٣١) في كتاب الزهد، باب النية، ط/دار الفكر، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي).

٤- والنسائي في السنن الكبرى (١٠/٣٧٧) رقم (١١٧٦٤) كتاب الرقاق ط/دار الكتب العلمية، تحقيق: د/عبدالغفار البنداري وغيره.

ثانيا: (رجال الإسناد باختصار)

١- صدقة بن الفضل: هو المروزي الحافظ قال الذهبي في الكاشف: إمام ثبت: (الكاشف (١/٥٠٢) ط١/دار القبلة).

٢- يحيى بن سعيد: هو ابن فروخ -بفتح الفاء وتشديد الراء المضمومة وسكون الواو- أبو سعيد القطان البصري، ثقة متقن حافظ، إمام قدوة، من كبار التاسعة، مات سنة ثمان وتسعين وله ثمان وسبعون (تقريب التهذيب (١/٧٥٥٦) ط١/دار الرشيد).

قائدة:

معنى قول الحافظ: «من التاسعة»: هي الطبقة الصغرى من أتباع التابعين كالشافعي الإمام فهو منها أيضا.

٣- سفيان: هو ابن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي، ثقة حافظ، فقيه عابد، إمام حجة من رءوس الطبقة السابعة، وكان ربما دلس، مات سنة إحدى وستين وله أربع وستون (تقريب التهذيب (١/٢٤٣٦).

فائدتان:

- معنى قول الحافظ من السابعة: أي من كبار أتباع التابعين.(انظر: مقدمة التقريب).
- الجواب عن قول الحافظ عن سفيان "ربما دلس" ومع ذلك يخرج له البخاري: قسَّم الحافظ المدلسين إلى خمسة طبقات وذكر اتفاق العلماء على قبول أصحاب الطبقة الأولى والثانية، وبدأ الخلاف من بداية الطبقة الثالثة، والحمد لله، فقد صنَّف سفيان الثوري رحمه الله على أنه من أصحاب الطبقة الثانية فقال: "من احتمل الأئمة تدليسه، وأخرجوا له في الصحيح لإمامته وقلة تدليسه في جنب ما روى كالثوري". (طبقات المدلسين (ص ١٣) ط١/ مكتبة المنار).

٤- أبو سفيان: هو سعيد بن مسروق الثوري ثقة مات سنة ست وعشرين وقيل بعدها (تقريب التهذيب (١/٢٣٨٩».

٥- منذر: بضم الميم وسكون النون وكسر الذال المعجمة بعدها راء ابن يعلى الثوري، الكوفي ويقال (المنذر) ابن يعلى الثوري ثقة (تقريب التهذيب (١/٦٨٨٤).

٦- ربيع بن خثيم: وقيل: الربيع بن خثيم -بضم المعجمة وفتح المثلثة- ابن عائذ بن عبد الله الثوري أبو يزيد الكوفي ثقة عابد مخضرم من الثانية، قال له ابن مسعود: (لو رآك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبك). مات سنة إحدى وقيل ثلاث وستين (تقريب

التهذيب ج ١ ص ١٨٨٣).

فائدة:

معنى قول الحافظ: «مخضرم من الثانية» أنه عاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا أنه لم يسلم إلا بعد موته، وعليه فهو ليس بصحابي، ويعد من كبار التابعين وهم أصحاب الطبقة الثانية.

٧- وعبد الله: هو ابن مسعود الصحابي الجليل (انظر ترجمته في حلية الأولياء لأبي نعيم ١/ ١٢٤) وغيره من كتب تراجم الصحابة).

فائدة على كتاب التقريب:

قسم الحافظ الرواة إلى اثنتي عشرة مرتبة واثنتي عشرة طبقة، أما المراتب فحسب درجة توثيقهم، فبدأ بالصحابة طبعًا، ثم من أكد توثيقهم كان يقول: أوثق الناس، ثم بمن تفرد بصفة كان يقول: ثقة.. وهكذا تقل درجة التوثيق ونحن نسير إلى أن انتهى إلى المرتبة الثانية عشرة، وهو من أطلق عليه اسم الكذب والوضع، وأما الطبقات فبحسب ترتيبهم الزمني، وليس لكل طبقة مدة زمنية متساوية مع التي بعدها كما يظن البعض، فكانت الطبقة الأولى هي طبقة الصحابة ثم كبار التابعين ثم.. وهكذا (انظر تقريب التهذيب ٧٥ و٧٦).

ثالثا: (الشرح)

١- قوله: (خط النبي خطا مربعا): الظاهر أنه كان بيده المباركة على الأرض. قال الطيبي [رحمه الله]: المراد بالخط الرسم والشكل أي رسم شكلا مربعا. (مرقاة المفاتيح (٩/ ٤٥٢) ط١/دار الكتب العلمية).

٢- قوله: (وخط خطًا في الوسط خارجا منه): أي خارجا من المربع، (وخط خططا) بضم الخاء المعجمة والطاء الأولى للأكثر، وجوّز فتح الطاء، أي خطوطا (صغارا) جمع صغيرة (إلى هذا) أي متوجهة ومائلة ومنتهية إلى هذا الخط (الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط) أي: من جانبيه اللذين في الوسط. فالمراد بالمفرد الجنس، ولا يراد به جهة واحدة من جهتي الخط. (انظر: مرقاة المفاتيح (٩/ ٤٥٢».

٣- قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (هذا الإنسان): مبتدأ وخبر أي: هذا الخط الذي في الوسط (قبل أن يخرج ويمتد خارج المربع) هو الإنسان على سبيل التمثيل (وهذا أجله محيط به) إشارة إلى المربع (أو) (قد أحاط به) بالشك من الراوي، (وهذا) الخط المستطيل المنفرد (الذي هو خارج) من وسط الخط المربع (أمله، وهذه الخطط) (الصغار): أي الشطبات التي في الخط الخارج من وسط المربع من أسفله أو من أسفله وأعلاه هي: (الأعراض) بالعين المهملة والضاد المعجمة أي: الآفات العارضة له كمرض أو فقد مال أو غيرهما، أو المراد بالخطوط المثال لا عدد مخصوص معين. «انظر: إرشاد الساري للقسطلاني (٩/ ٢٣٩)».

٤- قوله: (فإن أخطأه هذا): أي أحد الأعراض (نهشه) بمعجمة، وقيل بسين مهملة: أي أصابه وعضه. (هذا) أي عرض آخر. وعبر عن الإصابة بالنهش وهو لدغ ذات السم، مبالغة في المضرة (وإن أخطأه هذا) أي عرض آخر (نهشه هذا) أي: عرض آخر وهلم جرًا إلى انقضاء الأجل وعدم انتهاء الأمل «انظر: مرقاة المفاتيح (٩/ ٤٥٢)».

رابعا: في رياض الحديث

إن المرء من يوم أن يولد الى يوم أن يموت وهو عرضة للمصائب والأنكاد قال تعالى: «لقد خلقنا الإنسان في كبد»

وما أجمل قول من قال: ألم تروا مصارع من كان قبلكم، كيف استدرجتهم الدنيا بزخارفها، ثم تركتهم وقد تخلت عنهم، فهم في حيرة وظلمة، تركوا العيال والأموال، سكنوا القبور وقد تخلت عنهم الدور، صاروا ترابا باليا، وكان الله عز وجل لهم ناهيا، قال تعالى: (فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ).

نَبكي على الدنيا وما من مَعْشَر
جَمَعَتْهُمْ الدنيا فلَمْ يتفرّقوا
أَيْنَ الأكاسرَةُ الجَبابرةُ الأُلَى
كَنَزوا الكُنوزَ فما بَقِينَ ولا بَقوا

فإن قيل ما السبب في حب الدنيا والتكالب عليها مع كثرة أنكادها، فالجواب: قلة المعرفة بها وبما يجب نحوها.

ولقد أخبرنا حبيبنا صلى الله عليه وسلم في حديثنا هذا بأصل الداء، فضرب مثلاً للإنسان بأنه نقطة أو خط وسط مربع محيط به هو أجله، وخط خارج من هذا الإنسان، ويمتد خارج المربع هو أمله، والمربع هو الأجل المقدّر والذي يقطع ذلك الأمل الطويل، فكان أصل الداء هو عدم تقدير الأمور حق قدرها.

إن الإنسان بفطرته يحب الحياة ويحرص على الرزق الذي هو مطلق ما ينتفع به، وهو مأمور بذلك شرعا، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان» [مسلم (٤/ ٢٠٥٢)].

إلا أن المؤمن يعلم يقينا أن الذي يهب له الحياة ويمد

له في العمر، هو الله، وأن الذي ينزع منه هذه الحياة هو الله، وأن سعيه للرزق محكوم بمشيئة الله، فإن كان الأمر كذلك وكان الداء كما أسلفنا فما هو الدواء؟

إن قصر الأمل بضوابطه الشرعية (والتي أشرنا إليها من خلال حديث مسلم المتقدم ويأتي مزيد توضيح لها في الفوائد والتطبيقات) هو جزء من علاج الداء. يقول الشيخ حافظ حكمي رحمه الله: «إن المقصود الأعظم (من قصر الأمل): التأهب للموت قبل نزوله، والاستعداد لما بعده قبل حصوله، والمبادرة بالعمل الصالح، والسعي النافع قبل دهوم البلاء وحلوله؛ إذ هو الفيصل بين هذه الدار وبين دار القرار، وهو الفصل بين ساعة العمل والجزاء عليه، والحد الفارق بين أوان تقديم الزاد والقدوم عليه؛ إذ ليس بعده لأحد من مستعتب ولا اعتذار، ولا زيادة في الحسنات ولا نقص من السيئات، ولا حيلة ولا افتداء ولا درهم ولا دينار، ولا مقعد ولا منزل إلا القبر، وهو إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار إلى يوم البعث والجزاء وجمع الأولين والآخرين وأهل السموات والأرضين والموقف الطويل بين يدي القوي المتين...، قال الله تعالى: (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون) [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠] الآيات. (معارج القبول (٢/٧٠٨)، ط/دار ابن القيم).

خامسا: السلف وطول الأمل

لقد بلغ قصر الأمل بالسلف الصالح مبلغًا عظيمًا، ولولا النقل الصحيح لقلنا: هذا ضرب من الخيال أو شيء محال، ومن ذلك:

روى الإمام أبو بكر ابن الدنيا بسنده في (قصر الأمل)، ط٢/دار ابن حزم، تحقيق: محمد خير:

- عن شريك بن عبد الله في تفسير قوله عز وجل: (فتنتم أنفسكم) قال: بالشهوات واللذات. وتربصتم (قال: بالتوبة) وارتبتم (قال: شككتم) حتى جاء أمر الله (قال: الموت) وغركم بالله الغرور). (قصر الأمل ١١٧).

- وعن عبد الرحمن بن يزيد - وكان له حظ من دين وعقل - قال لبعض أصحابه: أبا فلان، أخبرني عن حالك التي أنت عليها، أترضاها للموت؟ قال: لا. قال: فهل أزمعت التحويل إلى حال ترضاها للموت؟ قال: لا والله، ما تاقت نفسي إلى ذلك بعدُ، قال: فهل بعد الموت دار فيها معتمل؟ قال: لا. قال: فهل تأمن أن يأتيك الموت وأنت على حالك هذه؟ قال: لا. قال: ما رأيت مثل هذه حالاً رضي بها وأقام عليها - أحسبه قال - عاقل. (قصر الأمل ص ٧٠).

- وعن يزيد الرقاشي أنه قال: «إلى متى نقول: غدًا أفعل كذا، وبعد غد أفعل كذا، وإذا أفطرتُ فعلت كذا، وإذا قدمتُ من سفري فعلتُ كذا! أغفلتَ سفرك البعيد، ونسيتَ مَلَك الموت؟ أما علمتَ أن مَلَك الموت غيرُ مُنتظِر بك أملك الطويل؟ أما علمت أن الموت غاية كل حي؟، أيها المغتر بشبابه، أيها المغتر بطول عمره، ثم يبكي حتى يبُل عمامته!» (انظر: قصر الأمل(٧١».

- وعن ابن أبي عمْرة قال:

يا أيُّهذا الذي قد غرّه الأمل
ودون ما يأمُلُ التنغيصُ والأجَلُ
ألا ترى أنما الدنيا وزينتَها
كمنزِل الرَّكْبِ دارًا ثُمَّة ارتحلوا

إلى أن قال:

المرء يشقى بما يسعى لوارثه
والقبر وارث ما يسعى له الرجل

(قصر الأمل: ص ٧٣).

- ويقول ابن الجوزي (في صفة الصفوة، ط٢/دار المعرفة (٤/٣٤»:

كانت عُفيرة العابدة لا تضعُ جنبها إلى الأرض في ليل، وتقول: «أخاف أن أؤخذ على غرَّة وأنا نائمة»!!

- وعن الربيع بن عبدالرحمن قال: «قطعتنا غفلةُ الآمال عن مبادرة الآجال، فنحن في الدنيا حيارى،.. إلى أن قال: إن تُحسن أيها المرء يُحسَن إليك، وإن تسئ فعلى نفسك بالعُتْب فارجع، فقد بيّن وأعذر وأنذر، فما للناس على الله حُجَّة بعد الرسل، وكان الله عزيزًا حكيمًا».(٣/٣٥٤).

- وفي كتاب الزهد لابن حنبل رحمه الله ط٢/ تحقيق:عبدالعلي عبدالحميد:

- كان الحسن البصري - رحمه الله - يقول: «ما أكثر عبدٌ ذكر الموت إلا رُئي ذلك في عمله، ولا طال أمل عبد قط إلا أساء العمل». (ص ٢٣٩).

- وعن عطاء الأزرق قال: سمعت رجلاً سأل الحسن كيف أنت؟ كيف حالك؟ قال: بأشر حال، وما حال من أصبح وأمسى ينتظر الموت لا يدري ما يفعل الله به.(ص ٢٦٢).

- وروى البيهقي في الزهد الكبير، ط٣: مؤسسة الكتب الثقافية -، تحقيق: عامر أحمد حيدر بسنده عن منازل بن سعيد يقول: صلينا خلف جنازة فيها داود الطائي وهو لا يراني خلفه، فقال: أوه (ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون)، ثم قال لنفسه: يا داود من خاف الوعيد قصر عليه البعيد، ومن طال

أمله قصر عمله، وكل ما هو آت قريب. واعلم يا داود أن كل شيء يشغلك عن ربك فهو عليك مشئوم، واعلم يا داود أن أهل الدنيا جميعًا من أهل القبور إنما يندمون على ما يخلفون ويفرحون بما يقدمون فبما عليه أهل القبور يندمون عليه أهل الدنيا يقتتلون فيه يتنافسون، وعليه عند القضاء يختصمون، ثم نظر إليّ، فقال لو: علمت أنك خلفي لم أنطق بحرف. (١/٢٠٩).

- وبسنده عن عبدالله بن المعتز أنه أنشد فقال:

الدهر يَبْلى وآمال الفتى جُدُد
تزيد آماله والدهر يُفنيها
ليلٌ وصبح وآجال مقدورة تمضي
ونمضي وتطوينا ونطويها

- ويفسر ابن رجب في (جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، لابن رجب ط٧/مؤسسة الرسالة، تحقيق: شعيب الأرناءوط/ إبراهيم باجس) معنى قصر الأمل فيقول: قال داود الطائي: سألت عطوان بن عمرو التيمي قلت: ما قصر الأمل؟ قال: ما بين تردد النفس، وكان محمد بن واسع إذا أراد أن ينام قال لأهله: أستودعكم الله، فلعلها أن تكون منيتي لا أقوم منها. وكان هذا دأبه إذا أراد النوم. وقال عون بن عبدالله: ما أنزل الموت كنه منزلته مَن عَدَّ غدًا من أجله؛ كم من مستقبل يومًا لا يستكمله! وكم من مؤمل لغد لا يدركه! إنكم لو رأيتم الأجل ومسيره لبغضتم الأمل وغروره، وكان يقول: إن من أنفع أيام المؤمن له في الدنيا ما ظن أنه لا يدرك آخره». (١/٣٨٤).

سادسا: ما يُستفاد من الحديث:

- في الحديث إشارة إلى الحض على قصر الأمل والاستعداد لبغتة الأجل. وعبر بالنهش وهو لدغ ذات السم مبالغة في الإصابة والإهلاك. (الفتح ١١/١٨٧).

- الخطوط المذكورة بجوار الخط الطويل الخارج إنما هي على سبيل المثال، لا أن المراد انحصارها في عدد معين، والحاصل أن من لم يمت بالسيف مات بالأجل. (الفتح ١١/١٨٧).

- مَنْ قَصُرَ أَمَلُهُ زَهِدَ وَمَنْ طَالَ أمله كَسِلَ عَن الطَّاعَة وقسا قلبه، قَالَ تَعَالَى: (فطال عَلَيْهِم الأمد فقست قلوبهم)، وَقيل: مَنْ قَصَرَ أَمَلَهُ قَلَّ هَمُّهُ وَتَنَوَّرَ قَلْبَهُ؛ لِأَنَّهُ إِذا اسْتَحْضَرَ الْمَوْتَ اجْتَهَدَ فِي الطَّاعَة وَقل همه وَرَضِيَ بِالْقَلِيلِ. (انظر الفتح (١١/٢٣٧».

- طول الأمل فيما يتعلق بأعمال الآخرة أمر مطلوب، وفيه ينقل ابن حجر عن ابن الجوزي رحمهما الله قوله: الْأَمَلُ مَذْمُومٌ لِلنَّاس إِلَّا لِلْعُلَمَاء، فَلَوْلَا أَمَلُهُمْ لَمَا صَنَّفُوا وَلَا أَلَّفُوا. (فتح الباري لابن حجر (١١/٢٣٧».

قلت: وكذلك طول الأمل بالنسبة لأعمال الدنيا المتعدي نفعها للغير والتي لا تؤثر على القلب بالسلب فهي تعد من الأمل المحمود؛ لأن الإنسان يؤجر عليها.

- بعض الناس يظن أن قصر الأمل معناه ترك العمل، وهذا خطأ، والصواب كما قال ابن حجر رحمه الله: وَفِي الْأَمَلِ سِرٌّ لَطِيفٌ لِأَنَّه لَوْلَا الْأَمَل مَا تَهَنَّى أَحَدٌ بِعَيْش، وَلَا طَابَتْ نَفْسُهُ أَنْ يَشْرَعَ فِي عَمَل مِنْ أَعْمَال الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا الْمَذْمُومُ مِنْهُ الِاسْتِرْسَال فِيهِ.(فتح الباري لابن حجر (١١/٢٣٧».

وختاما:

علينا الآن أحبتي في الله أن نتوب توبة عامة، ثم أن ننوي نية عامة بالتمسك بكتاب الله وسنة رسول الله، وأختم بكلام مستفاد من كلام ابن أبي الدنيا في (قصر الأمل) عن عبيدالله بن شميط بن عجلان قال: "سمعت أبي يقول: "إن المؤمن يقول لنفسه: إنما هي أيام ثلاثة، فقد مضى أمس بما فيه، وغدا أملٌ لعلك لا تُدركه، وبينهما يومًا وليلة تُخترم فيه أنفسٌ كثيرة، لعلك المُختَرم فيها، ومع ذلك قد حَمَلْتَ على قلبك الضعيف همَّ السنين والأزمنة، وهمَّ الغلاء والرخص، وهمَّ الشتاء قبل أن يجيء الشتاء، وهمَّ الصيف قبل أن يجيءَ الصيف، فماذا أبقيتَ من قلبك الضعيف لآخرته؟! كل يوم ينقص من أجلك وأنت لا تحزن، وكل يوم تستوفي رزقك وأنت لا تحزن، طالت آمالكم، فجدَّدتم منازلكم من الدنيا، وطيَّبتم منها معايشكم، وتلذَّذتم فيها بطيب الطعام، ولين اللباس، كأنكم للدنيا خلقتم! أو لا تعلمون أن الموت أمامكم؟

أيها المغترُّ بصحته، أما رأيت ميتًا قط من غير سَقَم؟ أيها المغتر بطول المهلة، أما رأيت مأخوذا قط من غير عُدَّة؟ إنك لو فكَّرت في طول عمرك، لنسيتَ ما قد تقدَّم من لذاتك، أبالصحة تغترُّون؟! أم بطول العافية تمرحون؟ أم للموت تأمنون؟ أم على مَلك الموت تجترئون؟ إن ملك الموت إذا جاء لم يمنعه منك ثروةُ مَالك، ولا كثرة احتشادك، أما علمتَ أن ساعة الموت ذات كَرْب وغُصَص وندامة علَى التفريط، رحم الله عبدًا نظر لنفسه قبل نزول الموت" (ص٥٨).

اللهم إن نعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة، ونعوذ بك من حياة تمنع خير الممات، ونعوذ بك من أمل يمنع خير العمل، والحمد لله رب العالمين.

القسم الثاني

درر البحار في تحقيق ضعيف الأحاديث القصار

إعداد/ علي حشيش

الحلقة ٢٠

٢٠٠- «أفضلُ طَعام الدنيا والآخرةِ اللحمْ».

الحديث لا يصح: أخرجه العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٣/٢٥٨) (ح١٢٦٤) من حديث ربيعة بن كعب مرفوعًا، وفيه عمرو بن بكر السَّكسكيُّ، قال العقيلي: «حديثه غير محفوظ، ولا يعرف إلا به، ولا يثبت في هذا المتن عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء». قال ابن حبان في «المجروحين» (٢/٧٨): «يروي عن الثقات الأوابد والطامات التي لا يشك من هذا الشأن صناعته أنها معمولة أو مقلوبة؛ لا يحل الاحتجاج به». وقال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٢/٦٦): «متروك».

٢٠١- «أَمَارَةُ الْمُسْلِمِينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ الْبَشَاشَةُ إِذَا تَزَاوَرُوا، وَالْمُصَافَحَةُ وَالتَّرْحِيبُ إِذَا الْتَقَوْا».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٢/٧٩) وأورده الذهبي في «الميزان» (٣/٢٤٨)، وجعله من مناكير عمرو بن بكر السكسكي عن ابن جريج، وقال: «واهٍ» من حديث جابر مرفوعًا.

٢٠٢- «مَن تضرَّع لصاحبِ دنيا وَضَع بذلك نصْفَ دينه، وَمَن أتى طعامَ قوم لَمْ يُدْعَ إِلَيْهِ مَلأَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَطْنَهُ نَارًا حَتَّى يَقْضِيَ بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ الذهبي في «الميزان» (٣/٢٤٨) من حديث أبي هريرة مرفوعًا، وجعله من طامات عمرو بن بكر.

٢٠٣- « اقْتُلُوا الْوَزَغَ، وَلَوْ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ الطبراني في «الأوسط» (٧/١٦٣) (ح٦٢٩٧) من حديث عطاء عن ابن عباس مرفوعًا، وقال: «لم يرو هذا الحديث عن عطاء إلا عمر بن قيس»، وهو علته، قال الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» (٢٤٩): «عمر بن قيس منكر الحديث عن عطاء، قال يحيى القطان: كنت قاعدًا في المسجد ليلة وعمر بن قيس يحدِّث، قال يحيى: سمعته يحدث عن عطاء، عن عبيد بن عمير في دية اليهودي والنصراني أعاجيب. ونقل الذهبي في «الميزان» (٣/٢١٨/٦١٨٧) أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه فقال: تركه أحمد والنسائي والدارقطني، وقال يحيى: ليس بثقة، وقال أحمد أيضًا: أحاديث بواطيل. اهـ.

قلت: «الوَزَغُ: جمع وَزَغة، وهي التي يقال لها: البُرْص».

٢٠٤- « أَمَرَ أَنْ يَتَّخِذَ زَوْجَ حَمَامٍ، يَذْكُرُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ هَدِيلِهِ». الحديث لا يصح: أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن عليًا رضي الله عنه شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحشة فأمره أن يتخذ زوج حمام.. الحديث، وعلته الحسين بن علوان، قال يحيى بن معين في رواية أبي خالد الدقاق (٣٧): «الحسين بن علوان ليس بثقة»، قال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٣/٦١/٢٧٧): «قرئ على العباس بن محمد الدوري عن يحيى بن معين قال: الحسين بن علوان كذاب، سمعت أبي يقول: هو

واهٍ ضعيف متروك الحديث». اهـ.

٢٠٥- «الْعِلْمُ خَزَائِنُ وَمِفْتَاحُهَا السُّؤَالُ فَسَلُوا يَرْحَمْكُمُ الله فَإِنَّهُ يُؤْجَرُ فِيهِ أَرْبَعَةٌ: السَّائِلُ وَالْمُعَلِّمُ وَالْمُسْتَمِعُ وَالْمُحِبُّ لَهُمْ».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/١٩٢) قال: حدثنا يوسف بن إبراهيم السهمي الجرجاني حدثنا علي بن محمد القزويني، حدثنا داود بن سليمان القزاز، حدثنا علي بن موسى الرضا، حدثني أبي عن أبيه جعفر عن أبيه محمد بن علي عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب مرفوعًا، قال أبو نعيم: «هذا حديث غريب لم نكتبه إلا بهذا الإسناد، وعلته داود بن سليمان، ذكره الذهبي في «الميزان» (٢/٨/٢٦٠٨) قال: «كذَّبه يحيى بن معين ولم يعرفه أبو حاتم، وبكل حال فهو شيخ كذاب له نسخة موضوعة عن عليّ الرضا».

وتابع هذا الكذاب الوضاع كذابٌ وضاعٌ آخر هو عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي عن أبيه عن علي بن موسى الرضا به، كذا في «العوالي» (١/٢١٣) للشيرازي، ذكره الذهبي في «الميزان» (٢/٣٩٠/٤٢٠٠) قال: عبد الله بن أحمد بن عامر عن أبيه عن علي الرضا، عن آبائه بتلك النسخة الموضوعة الباطلة ما تنفك عن وضعه أو وضع أبيه، فهذه المتابعة لا تزيد الحديث إلا وهنًا على وهن كما هو مقرر عند علماء الصنعة.

٢٠٦- «الجيزةُ رَوْضةٌ مِن رِياضِ الجنَّةِ، وَمِصْرُ خزائنُ اللهِ في أَرْضِه».

الحديث لا يصح: أورده الحافظ السخاوي في «المقاصد» (ح٣٧٧) وقال: «قال شيخنا هو كذب موضوع، وهو في نسخة نبيط الموضوعة». اهـ.

٢٠٧- «يَكُونُ في آخِرِ الزَّمَانِ عُبَّادٌ جُهَّالٌ وَقُرَّاءُ فَسَقَةٌ».

الحديث لا يصح: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/٣١٥) من طريق يوسف بن عطية عن ثابت عن أنس مرفوعًا، قال الحافظ الذهبي في «التلخيص»: «يوسف هالك»، وقال في «الميزان» (٤/٤٦٨/٩٨٧٧): «يوسف بن عطية البصري الصفار مولى الأنصار عن قتادة وثابت مجمعٌ على ضعفه، وقال النسائي: متروك، وقال يحيى: ليس بشيء، وقال البخاري: منكر الحديث».

٢٠٨- «إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ ثَلاثَةَ أَيَّام خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِه كَيَوْم وَلَدَتْهُ أُمُّه».

الحديث أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١/٢٤١) (٧٢/٧٢) من طريق إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه عن عكرمة عن أنس مرفوعًا، وقال: ولإبراهيم بن الحكم غير هذا الحديث عن أبيه، وبلاؤه مما ذكروه أنه كان يوصل المراسيل عن أبيه، وعامة ما يرويه لا يُتابع عليه، وأخرج عن يحيى بن معين أنه ليس بشيء.

وقال النسائي في «المتروكين» (١٢): «إبراهيم بن الحكم بن أبان متروك الحديث».

٢٠٩- «إِنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ يُبْغِضُ كُلَّ جَعْظَرِيٍّ جَوَّاظٍ سخَّابٍ فِي الأسْوَاقِ، جِيفَةِ اللَّيلِ، حِمَارِ النَّهارِ عَالمٍ بالدُّنْيا جاهلٍ بالآخِرَة».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن حبان (١٩٥٧- موارد) من طريق عبد الله بن سعيد بن أبي هند، عن أبيه، عن أبي هريرة مرفوعًا، وفيه علة خفية، وهي الإرسال الخفي؛ حيث قال الحافظ ابن أبي حاتم في «المراسيل» (٢٦٧) سمعت أبي يقول: «سعيد بن أبي هند لم يلقَ أبا هريرة»، وهذا الحديث كان قد صححه الشيخ الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (ح١٩٥) وقال: «سنده صحيح رجاله كلهم ثقات»، وعندما تبينت له العلة، قال رحمه الله في «تراجع العلامة الألباني» (ح١٣٤): «فلم أستجز لنفسي إبقاءه في «الصحيح» بعد ظهور هذه العلة»، قلت: وهذا لا ينقص من قدر شيخنا رحمه الله، بل هذا يزيده محبة في قلوب طالبي الحق.

الحياة الإيمانية والحياة المادية

إعداد/ **الشيخ الدكتور/صالح بن عبد الله بن حميد**

إمام المسجد الحرام بمكة المكرمة

الحمد لله ذلَّ كل شيءٍ لعزَّته، وتواضعَ كل شيءٍ لعظَمته، لا إله إلاَّ هو، يجري كل شيءٍ بقدَره وقدرته، أحمده -سبحانه- وأشكرُه؛ عمَّنا بجُوده وفضله ونعمته، ووعدَ الشاكرين من فضله بزيادته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لا شريك له في أسمائه وصفاته، وفي ربوبيَته وألوهيَته، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمدًا عبدُ الله ورسوله منَّ علَينا ببعثته، وجعل خاتمةَ الرسالات في رسالته، صلَّى الله وسلم وبارَك عليه، وعلى أصحابه وعِترته، والتابعين ومن تبعَهم بإحسَانٍ والتزَمَ نهجَه وسارَ علَى سُنَته، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فأُوصيكم -أيها الناس- ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله -رحمكم الله-؛ نالَ السعادةَ من باتَ مُعافًى في بدنه، آمنًا في سربه، عنده قُوتُ يومه، عابدًا لَربه، وبلغَ السيادةَ من كان غِناه في قلبَه، راضيًا بكسبِه، علِمَ أنَ الدنيا غرَارةٌ خدَاعة، لا تُساوِي همَ ساعة، فجعلها لربه عملاً وطاعةً. له قلبٌ قانِعٌ بالعطاء، ونفسٌ مُطمئنةٌ بالقضاء، لم يكن صاحبَ هوى فتَنَه هواه، ولا صاحبَ دُنيا أهمَته دُنياه، غلبَ حلمُه جهلَه، وصبرُه شهوتَه: (أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ) [الزمر: ٩].

الإنسان محور المسؤولية:

معاشر المسلمين: اقتضَت حكمةُ الله -عزَ شأنُه- أن يجعل الإنسان في هذه الدنيا محورَ المسؤولية، ومحل التكليف: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) [البقرة: ٣٠].

غاية الإنسان التي خلق من أجلها:

وغايةُ الإنسان التي خُلق من أجلها، ويحيا في سبيلها هي غايةٌ إيمانية، وعقليةٌ فكرية: (وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [الذاريات: ٥٦]، (أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ

بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ) [الحج: ٤٦]، (وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [النحل: ٧٨].

ولا تستقيمُ إنسانيةُ الإنسان، ولا تصلُحُ حياتُه إلا بالإيمان والعمل الصالح: (إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا) [الكهف: ٣٠].

وهو -أي: الإنسان- إن تخلى عن ذلك فهو كمثل الحمار يحمل أسفارًا، وكمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث.

إن الإنسان الصالح هو إنسانُ الإيمان والأخلاق، والقيَم والمبادئ، والشرف والفضيلة، والكرامة والنزاهة، والصدق والاستقامة والمسؤولية.

خطأ النظرة المادية للعالم:

العقلُ الإنسانيُ وحدَه -أيها الإخوة في الله- لا يستطيعُ أن يستقل بالقرارات الصحيحة والأحكام الصائبَة: (وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ) [المؤمنون: ٧١]؛ ذلكم أن الإنسان ذو نزَعات نفعيَة ضيقة؛ بل إنه بعقله واستبداده وهواه يُحاول أن يغتصبَ ما يستطيعُ اغتصابَه، وينهَبُ ما يقدرُ على انتهابه.

الإنسان بعقله المُجرَد، وهواه الطاغي تجلى وتجسَد في كثير من مظاهر حضارة اليوم، فلا اعترافَ بعالم الغيب، ولا بما وراء الطبيعة -كما يُعبرون-، وإنما هو العالمُ المحسوسُ المنظورُ ولا شيء غيرُه.

بل لقد جعَلوا الإنسان هو الصانع لقيَمه، فاتخذ لنفسه نهجًا ومسارًا ابتَعَدَ فيه عن الدين والإيمان، وما جاءَت به الرُسُل وتنزلَت به الكتُب، حتى قالوا: لا توجد حقائق ثابتةُ للعدل والحرية، ولا معاييرُ ضابطةُ للأخلاق والمصالح، ولكنها النسبية القاتلَة، فلا عداوات وصداقات، ولا صدقَ في العلاقات؛ بل هي مصالحُ الأقوى، وأحكام الأظلم، وهوَى الأطغى.

مغبة طغيان النظرة المادية:

معاشر الأحبَة: بسبب تحكيم العقل -بل تحكيم الهوى- ضعُفت القيَم، وطغَت النظرةُ المادية؛ بل برزت العنصرياتُ، وتجسَدت العصبيات. وإنك لترَى المنتسبَ للتقدم والعلم وهو يحمل التعصُب المقيت للونه وقوميَته رغم ما حققه من تقدُم مادي، بل لقد حاربَ الدينَ والتدين، حتى أصبحَ أسيرًا للماديات والمحسوسات، فحقق فيها نجاحًا لا يُنكر، ولكنه فشل في الحفاظ على كرامة البشر من غير أجناسهم وقومياتهم.

بل لقد عولَموا الحروبَ والصراعات والتظالُم، ولسوف يكون الوضعُ أكثرَ حدَة، وأشد قسوة، وأقسَى وحشيَة، كلما تعاظمَت وسائل قوته وأدواته في جشع المادة، واستعظام القوة، ولقد تضاعَف تعدادُ الضعفاء والبُؤساء من ملايين الثكلى، والجوعَى، والعُراة، والمرضى، والمعدَمين.

وإنك لترَى المُخترع في اختراعه، والمُكتشف في اكتشافه، والصانعَ في صناعته يهدفُ نفعَ الناس في ميادين الطعام والغذاء والكساء والدواء من أجل مزيد من الصحة والعافية والسلامة، غيرَ أن معاملَهم هذه ومُختبراتهم ومصانعهم هي التي تُنتجُ -وبشكل أكبر وأفظع وأثرَى- تنتجُ الغازات السامَة القاتلة، والأسلحة الفتاكة المدمرة، وهي التي تُهدد بالحروب الجرثوميَة، والكيميائية، والنووية.

وسباق التسلح لا سقف له ولا حدود، وصدق الله العلي العظيم: (يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ) [الروم: ٧]، (وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ) [الرعد: ٣١].

إفراغ العلوم من الإيمان والقيم مؤذن بالهلاك:

معاشر المسلمين: إن إفراغَ العلوم من الإيمان والقيَم والمُثُل العُليا أصابَ دُنيا هذا العصر بالعُقم والانحطاط، وأوصلَ إلى الطريق المسدود، فالحريةُ لا حدود لها، والعدل لا ضابط له، والمصالح لا معايير لها، والغايةُ تُبررُ الوسيلة!

وما كان ذلك -وربكم- إلا بسبب قيام هذه القيَم على الفصل بيَن العلم والإيمان، والدين والحياة، والعلوم والأخلاق، فلا صداقات ولا عداوات، ولكن مصالح يُديرُها الأقوى، ويتحكم فيها الأغنَى.

فالعلمُ فروضٌ ونظرياتٌ وظواهرُ لا شأنَ لها بالقيَم، وتكون القاصمة حين يتقرر أنه لا علاقة لها بالدين والحياة.

الارتباطُ الوثيق بين الإيمان والحياة:

أيها العقلاء: العلمُ من غير دين فاقدُ البصيرة، بل هو وحشٌ ضارٍ يُهلك الحرثَ والنسل، والإنسانُ من غير إيمان حيوانٌ بهيمٌ، مفترسٌ شرسٌ: (وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ) [البقرة: ٢٠٥].

نعم، حين توجه العلمُ إلى هذا المسار المادي اتجهت نتائجُه إلى هذا التوجُه التخريبي الذي أرعبَ الإنسانيةَ جمعاء، في كلا مساريه: العملي والنظري. ومن هنا؛ فإن كل قوانين البشر ومواثيقها واتفاقياتها سُرعانِ ما تتلاشى، وتظهر عيوبُها وثغراتُها وظلمُها وانحيازُها.

ليتَ أهل الحضارة يعلمون أن هناك ارتباطا وثيقا، بل ميثاقا غليظا لا انفكاك عنه بين الإيمان والحياة، والإيمان والعلم، والعقيدة والعمل، (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا) [الأحزاب: ٧]، (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ) [يونس: ٩]، (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [النحل: ٩٧].

إن القيَم العظيمة من البر والإحسان، والصدق والإخلاص والوفاء، واحترام كرامة الإنسان، والتواضع والتعاون، ونكران الذات، وحب الخير للناس، والصبر في الشدائد والكروب وغيرها، كل أولئك لا يمكن أن تُقام على وجهها إلا بسياج من الإيمان بالله وتقواه وخشيته، وحُسن عبادته، والرغبة والرهبة فيما عنده في الدنيا والآخرة.

نماذج مما مسخه الماديون من شعائر الدين:

معاشر العقلاء، أيها المسلمون: ومما يُجلي ذلك ويُبرزُه: هذه المقارنة في قيمة من القيَم، كيف هي في الميزان الصحيح، وكيف آلت إليه في هذا العصر؟! إنها قيمةُ الزواجِ وغايتُه.

الزواجُ في الميزان الصحيح ميثاقٌ غليظ: (وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا) [النساء: ٢١].

نسبٌ وصهرٌ، وبناءُ أسرة، ورباطُ عشيرة، وأهلُون وأقربون، وحُسن عشرة، وإحسانٌ ومودة، وإمساك بمعروف، وتحمُل ومسؤولية. الأسرةُ مأوى ومدرسة، وحضنٌ دافئ، ودارُ رعاية حانية.

أما في هذا العصر وما يُريده ماديُو هذا العصر بقيَمهم المادية، ونظرتهم الأنانية والعُنصرية؛ فالزواجُ عقدٌ باهت، وارتباطٌ مهزوز، وعلاقة جامدة، تفتقدُ كل وظائف الأسرة، يلتقي فيها الشبحان (الزوج والزوجة) في تواصُل بارد، حتى استبدلوا الأولادَ بحيواناتٍ استأنسوها وتألفوها.

أما وظائفُ الأسرة فقد أُنيطت بمؤسسات وهيئات مُختلفة؛ فزادت دورُ الرعاية لرعاية اللقطاء، والمسنين والعجَزة، والضمانُ الاجتماعيُ في رعاية الدولة أو الهيئات الاجتماعية.

في الأسرة المعاصرة إذا بلغ الأبوانِ مرحلةَ العجز والشيخوخة، فالحل هو إيداعُه في إحدى هذه الدُور، حتى يبلغ الكتابُ أجله، لا يزورُ ولا يُزار، وقد يُحسنُون إليه في بعض المناسبات بزيارة أو وردة أو بطاقة.

وأما الأولادُ فإذا بلغوا سِن الرُشد عندهم فلا علاقة لهم بأسرتهم، ولا والديهم، ولا مسؤولية ولا رحم ولا صهر، ومع الأسف فإن هذه الصورة من المقارنة لم تعُد قاصرةً على إقليم دون إقليم، إلا من رحمَ ربُك.

وإن شئتُم صورة أخرى، أو قيمةً أخرى يُمكن التمثيل بها؛ فهي قيمة العفاف، أو خُلق العفة، وهل للعفاف وُجودٌ في الحياة العادية المعاصرة؟!

العفةُ -حفظكم الله- هي ضبطُ النفس واعتدالُها في لذاتها الجسمية والنفسية، أكلا وشربًا، وكسبًا واتصالا وعواطف.

والمسارُ المعاصر مُنهمكٌ في الملذات بنَهم لا ينتهي، وظمأ لا يرتوي. لماذا؟! لأن الحياةَ عندهم لا تتجاوزُ عالمَ الأرض، في ارتماء مقيت في أحضان المادة لا قعر له، ناهيكم بقانون: (الغاية تُبررُ الوسيلة) حينما يُكشرُ عن أنيابه

البشعة، يجرف كل ما بين يديه وما خلفه.

ومن خلال ذلك: ترى صورة الإنسان المعاصر فارغ الأكواب، ظمآن الشفتين، مصقول المظهر، مُظلمَ المخبر، كليل البصر، ضعيف اليقين، كثيرَ اليأس. عيونٌ لا تعفُ عن الحرُمات، وقلوبٌ لا تزجُرُها القوارع، كل ما عندهم من علم وفن، وسياسة وتربية، وعقل وقلب يطوف حول الماديات.

وبعد -حفظكم الله-:

لقد قُتل الإنسان من غير حرب، وعُذب من غير ضرب، آن لأهل الفقه والنظر أن يعرفوا معالمَ التحضر الحقيقي، وأين هي مساراتُ التقدُم المنشود؟! وأين هي آثارُ القيَم؟!

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: (وَٱلْعَصْرِ ① إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ② إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ) [العصر: ١- ٣].

الدين لا يقف عند الدعوة إلى مكارم الأخلاق:

أيها المسلمون: إنها سُنة التدافُع بين الحق والباطل، والخير والشر، والعدل والجور، ونحن -المسلمين- لسنا نشك لحظة واحدة بأن القادر -بإذن الله- على تخليص البشرية من شقوتها، وتزويدها بمنهج الحياة الصالح هي هذه الأمة بدين الحق: (فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ) [طه: ١٢٣]، (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ) [آل عمران: ١١٠].

إن الطريقَ واضحٌ، والنهجَ أبلج، إنه الاعتصامُ بحبل الله والتمسُك بشرعه. والإيمانُ هو الأصرةُ التي تجمعُ القلوب، والأخوةُ الحقةُ هي الأخوةُ الإيمانية.

الدينُ لا يقف عند الدعوة إلى مكارم الأخلاق، وعدد القيَم وتمجيدها؛ بل هو الذي يُرسيها، ويُحددُ معالمها، ويضبط مقاييسها، ويضعُ الجزاءَ لها ثوابًا وعقابًا.

واعلموا -حفظكم الله- أن خزائن الإسلام لم تنفد، وجدةَ الإسلام لم تخلق. إن سر بقاء هذا الدين وعصيانه على الذوبان، وقوة مقاومته؛ لأنه حقٌ من عند الله، ومحفوظ بحفظه، ربانيٌ كاملٌ شاملٌ في عقائده وتشريعاته وقيَمه وأخلاقه، وكلها قيَمٌ عُظمى، ومُثل عُليا مُتماسكة بقوة تجعلها -بحفظ الله وحكمته- العقبةَ على كل من يُحاول النيل منها، أو عصرَها أو قهرَها.

ويكفيكم عزة وقوة وأملاً: ما يُحققه دينُكم من انتشار في كل أصقاع الدنيا قويها وضعيفها، شمالها وجنوبها، رغم حملات التشويه والتجني. دينٌ عظيمٌ عزيزٌ إذا تطاولوا عليه اشتد، وإذا تركوه امتد، فلله الحمدُ والمنة.

والمسلمون حين يعُودون إلى دينهم، ويعتزُون بقيَمهم، ويتمسكون بشريعتهم سوف لن يُنقذوا أنفسهم وحدَهم، ولكنهم سوف يُنقذون البشريةَ كلها التي تئنُ من وحشية الغاب، وتعاظم الدمار والخراب.

فديننا هُدى للناس أجمعين، ونبينا محمدٌ -صلى الله عليه وسلم- هو رحمة الله للعالمين، وجميل أن يُوقنَ أهل الحق أن ما يرونه من صراع مصالح ما هو إلا صراعُ مبادئ، صراعٌ بين الحق والباطل، صراعٌ بين ما جاء به هذا الدين ومَن يُريدون إطفاءَ نور الله، (وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ) [التوبة: ٣٢]، وليُؤثرَ دينَه على الدين كله ولو كره المشركون.

هذا؛ وصلُوا وسلموا على الرحمة المُهداة، والنعمة المُسداة: نبيكم محمد رسول الله؛ فقد أمركم بذلك ربُكم، فقال -عز قائلاً عليمًا-: (إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا) [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك نبينا محمد الحبيب المُصطفى، والنبي المُجتبى، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين: أبي بكر، وعُمر، وعُثمان، وعلي، وعن الصحابة أجمعين، والتابعين ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وجُودك وإحسانك يا أكرم الأكرمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واخذل الطغاة والملاحدة وسائر أعداء الملة والدين.

الاقتصاد الإسلامي

الاستصناع

إعداد **د. علي السالوس**

الحمد لله تعالى حمدًا طيبًا طاهرًا مباركًا فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، نستغفره ونتوب إليه، ونسأل الله عز وجل أن يجنبنا الزلل في القول والعمل، وأن يجعل عملنا كله خالصًا لوجهه الكريم. ونصلي ونسلم على رسله الكرام، وعلى خاتمهم، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، والسراج المنير، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه واتبع سنته إلى يوم الدين.

أما بعد: فقد كثر الحديث عن الاستصناع بعد أن بدأت المصارف الإسلامية في اتخاذه وسيلة من وسائل تمويلها، واحتاج الأمر إلى وضع الضوابط الشرعية لسلامة التطبيق، وصحة العقود.

وعند النظر في هذه الضوابط، وأثناء تدريس المعاملات المالية، وجدت بعض الكاتبين يعرض الموضوع بطريقة غير دقيقة، إلى جانب بعض الأخطاء.

فرأيت أن أقدم هذا البحث مستعينًا بالله عز وجل، وقسمته إلى أربعة مباحث:

المبحث الأول: جعلته لتعريف الاستصناع.

والمبحث الثاني/تحدثت فيه عن الاستصناع عند المالكية والشافعية والحنابلة؛ حيث إنهم يختلفون عن الحنفية، فلم يجعلوه عقدًا مستقلا، أو ما يعرف بالعقود المسماة، كما فعل الحنفية، وإنما جعلوه ضمن السَّلَم.

وجعلت المبحث الثالث: للاستصناع عند الحنفية.

أما المبحث الرابع، وهو الأخير، فقد جعلته للاستصناع في معاملاتنا المعاصرة.

تعريف الاستصناع

جاء في لسان العرب تحت مادة صنع: صنعه يصنعه صنعة: عمله... واصطنعه: اتخذه.. واصطنع فلان خاتمًا.

واستصنع الشيء: دعا إلى صنعه.

وفي المعجم الوسيط: استصنع فلانا كذا: طلب منه أن يصنعه له.

وهو في اصطلاح الفقهاء: طلب العمل من الصانع في شيء مخصوص على وجه مخصوص. [رد المحتار لابن عابدين ٢٢١/٤].

أو هو عقد مع صانع على عمل شيء معين في الذمة. [مجلة الأحكام العدلية: م١٢٤].

الاستصناع عند المالكية والشافعية والحنابلة

يلاحظ فيما سبق أن التعريف الذي نقلته من كتب الفقه كان من كتب الحنفية فقط، وذلك لأن عقد الاستصناع لا يعد عقدا مستقلا، أو مما يعرف بالعقود المسماة، إلا عند الحنفية، وإن كان بعض الباحثين ذكر جوازه عند المذاهب الثلاثة كلهم أو بعضهم، وضم المجيزين إلى الحنفية، وهذا غير دقيق كما سيتضح من الدراسة التالية:

أولا - الاستصناع عند المالكية:

بالرجوع إلى كتب المالكية نرى الحديث عن الاستصناع عند الحديث عن السَّلَم وشروطه وأحكامه، فالمدونة الكبرى للإمام مالك يبدأ المجلد الرابع بكتاب السلم، وفي ثنايا السلم يوجد عنوان في السلف في الصناعات.

وفي مقدمات ابن رشد - الجد - نجد كتاب السلم (ص٥١)، وتحدث فيه أيضا عن السلم في الصناعات (ص٥١٩ - ٥٢٠)، فقال: وأما السلم في الصناعات فينقسم في مذهب ابن القاسم على أربعة أقسام: (أحدها): أن لا يشترط المسلم المستعمل عمل من استعمله، ولا يعين ما يعمل منه. (والثاني): أن يشترط عمله ويعين ما يعمل منه.

(والثالث): أن لا يشترط عمله ويعين ما يعمل منه.

(والرابع): أن يشترط عمله، ولا يعين ما يعمل منه.

ثم فصل في شرح هذه الأربع.

وفي بُلْغة السالك (١٠٣/٢) يقول الصاوي: (قوله كاستصناع سيف): أي كما أن استصناع السيف والسرج سلم، سواء كان الصانع المعقود معه دائم العمل أم لا، كان يقول لإنسان: اصنع لي سيفا أو سرجا أو بابا صفته كذا بدينار، فلا بد من تعجيل رأس المال وضرب الأجل، وأن لا يعين العامل ولا المعمول منه، إلى آخر شروط السلم.

ثانيًا: الاستصناع عند الشافعية:

لا نجد عن الشافعية بابا خاصا بالاستصناع، غير أنهم يذكرونه في السلم: ففي كتاب الأم للإمام الشافعي (٧٨/٣) نجد باب السلف والمراد به السلم. ويتصل بهذا الباب عدة أبواب، منها: باب السلف في الشيء المصلح لغيره، ومما قاله تحت هذا الباب الأخير (١١٦/٣):

قال: ولا بأس أن يسلفه في طست أو تور- بفتح التاء

وسكون الواو إناء صغير يتوضأ منه- من نحاس أحمر أو أبيض أو رصاص أو حديد، ويشترطه بسعة معروفة، ومضروبا أو مفرغا، وبصنعة معروفة، ويصفه بالثخانة أو الرقة. ويضرب له أجلا، وإذا جاء به على ما يقع عليه اسم الصفة والشرط لزمه ولم يكن له رده.

وفي زاد المحتاج قال المؤلف (٢/١٢٢):

(فلا يصح) السلم (فيما لا ينضبط مقصوده كالمختلط المقصود الأركان) أي الأجزاء التي لا تنضبط (كهريسة- هي لحم وقمح يطبخان معًا، وليست الحلوة المعروفة لدينا- ومعجون وغالية وخف) لعدم انضباط أجزائها، لأن الغالية مركبة من مسك وعنبر وعود وكافور، والخف يشتمل على ظهارة وبطانة وحشو، والعبارة لا تفي بذكر أقدارها وانعطافاتها، فإنه يجوز السلم فيه (والأصح صحته في المختلط المنضبط) الأجزاء (كعتابي) نوع من الثياب مركب من قطن وحرير، (وخز) هو مركب من أبريسم ووبر أو صوف لسهولة ضبط كل جزء من هذه الأجزاء، ومعنى الانضباط أن يعرف العاقدان وزن كل من الجزأين:

وقال في موضع آخر (٢/١٢٧) (ولا يصح) السلم (في مختلف) أجزاؤه (كبرمة معمولة) وهي قدور تصنع من الحجارة، واحترز بالمعمولة عن المصبوبة في قالب (وجلد) على هيئته (و) معمول نحو (كوز وطس) بفتح الطاء ويقال له طشت (ونحوها) كالأباريق (ويصح) السلم (في الأسطال المربعة) لعدم اختلافهما، والمدورة كالمربعة (وفيما صب منها) أي المذكورات (في قالب).

ثالثا: الاستصناع عند الحنابلة:

وجدنا من الحنابلة من نص على عدم جواز الاستصناع، قال ابن مفلح في كتاب الفروع (٤/٢٤): ذكر القاضي وأصحابه: لا يصح استصناع سلعة، لأنه باع ما ليس عنده على غير وجه السلم.

ومع هذا النص الذي يبين المنع، نرى الحنابلة - كالمالكية والشافعية - يتحدثون عما يتصل بالاستصناع تحت باب السلم، قال ابن قدامة في المغني (٤/٢١٣): لا يصح - أي السلم - فيما يجمع أخلاطا مقصودة غير متميزة، كالغالية والمعاجين التي يتداوى بها للجهل بها...، ولا في الأواني المختلفة الرؤوس والأوساط، لأن الصفة لا تأتي عليه، وفيه وجه آخر أنه لا يصح السلم فيه إذا ضبط بارتفاع حائطه، ودور أعلاه وأسفله، لأن التفاوت في ذلك يسير. ولا يصح في القسي المشتملة على الخشب والقرن، إذ لا يمكن ضبط مقادير ذلك وتمييز ما فيه منها، وقيل: يجوز السلم فيها، والأولى ما ذكرنا.

وقال أيضا (٤/٣١٤): يصح السلم في النشاب والنبل، وقال القاضي: لا يصح السلم فيهما، وهو مذهب الشافعي، لأنه يجمع أخلاطا من خشب وعقب وريش ونصل، فجرى مجرى أخلاط الصيادلة.. ولنا أنه مما يصح بيعه، ويمكن ضبطه بالصفات التي لا يتفاوت الثمن معها غالبا، فصح السلم فيه كالخشب والقصب وما فيه من غيره متميز يمكن ضبطه والإحاطة به، ولا يتفاوت كثيرا، فلا يمنع كالثياب المنسوجة من جنسين.

وما ذكره ابن قدامة جاء أثناء بيان الشرط الأول من شروط صحة السلم وهو: أن يكون المسلم فيه مما ينضبط بالصفات التي يختلف الثمن باختلافها ظاهرا. ثم انتقل إلى الشرط الثاني وهو: أن يضبطه بصفاته التي يختلف الثمن بها ظاهرا.

... ويصح السلم في الكاغد- الورق غير المكتوب فيه- لأنه يمكن ضبطه، ويصفه بالطول والعرض والدقة والغلظ واستواء الصنعة ما يختلف به الثمن.

... وإن أسلم في الأواني التي يمكن ضبط قدرها وطولها وسمكها ودورها، كالأسطال القائمة الحيطان والطسوت، جاز، ويضبطها بذلك كله.

خلاصة البحث

مما سبق نرى أن المذاهب الثلاثة لم تجعل الاستصناع عقدا مستقلا، وإنما جعلوه ضمن السلم.

فالمالكية خصصوا جزءًا من كتاب السلم للسلم في الصناعات، أو السلف في الصناعات، وضربوا أمثلة لما كان يصنع في عصرهم، وأجازوه بشروط السلم.

أما الشافعية فقد أجازوا السَّلم فيما صُنع من جنس واحد فقط كالحديد، أو النحاس، أو الرصاص، أو غيرها، ولم يجيزوه فيما يجمع أجناسا مقصودة لا تتميز: كطست من نحاس وحديد، وكالغالية: وهي مركبة من دهن مع مسك وعنبر أو عود وكافور، وجعلوا مثل هذا لا يجوز إلا يدا بيد.

وإجازتهم ما صُبَّ في قالب لا يخرج عن قولهم هنا، لا كما ذكره بعض الكاتبين، فإنهم لم يجيزوه إلا بالشرط السابق، أي أن يكون الأصل المذاب في القالب من جنس واحد، وما نقلته من أقوالهم ينص على هذا الشرط، وقد جعل الإمام الشافعي هذا الشرط عاما حيث قال بعد ذكره: وهكذا كل ما استصنع.

أما ما يجمع أجناسا مقصودة تتميز، كالقطن والحرير، فهو موضع خلاف بينهم، والأصح في المذهب الجواز بشرط علم العاقدين بوزن كل ما أجزائه.

والحنابلة لا يكادون يختلفون عن الشافعية إلا في القليل من الفروع التطبيقية.

ومن هذا نرى أن المذاهب الثلاثة أجمعت على عدم جواز الاستصناع إلا بشروط السلم، غير أن المالكية أجازوا استصناع أي شيء مما يعمل الناس في أسواقهم من آنيتهم أو أمتعتهم التي يستعملون في أسواقهم عند الصناع، على حين لم يجز الشافعية والحنابلة من هذه الأشياء ما جمع أجناسا مقصودة لا تتميز.

وللحديث بقية إن شاء الله.

القصة في كتاب الله

نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان وعلاقته بالواقع الذي نعيشه

الحلقة (٤)

إعداد/ **عبد الرزاق السيد عيد**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وإمام المرسلين الذي بشر به الرسل أجمعين، وعلى آله وصحبه والتابعين.

أما بعدُ: فقد انتهى بنا اللقاء السابق إلى اتفاق الأمم الثلاث اليهود والنصارى والمسلمون على انتظار منتظَر واحد يخرج في آخر الزمان، فإنهم وُعِدُوا به في كل ملة؛ فاليهود ينتظرون المسيح الدجال الذي يسمونه «ملك السلام»، والذي يهيئون لخروجه، ولكنهم لا يسمونه الدجال، والمسلمون والنصارى يتفقون على أنه سيكون عيسى ابن مريم، لكن النصارى يعتقدون أنه الله، والمسلمون يعتقدون أنه عبد الله ورسوله.

ويتفق اليهود والنصارى على كونه من بني إسرائيل، وسيكونون جنده وأعوانه، وستكون قاعدة ملكه القدس، والإنجيليون على وجه الخصوص وهم طائفة البروتستانت من النصارى وقد وُصِفوا بالإنجيليين؛ لأنهم يؤمنون بحرفية التوراة، ومؤسس هذه الفرقة هو مارتن لوثر الألماني الذي انشق عن الكنيسة الكاثوليكية في القرن السادس عشر الميلادي، وأنكر كل تعريفات البابا وتفسيراته للكتاب المقدس، وقد هاجر كثير منهم إلى أمريكا بعد اكتشافها وشكَّلوا فيها أغلبية كبيرة، فصاروا يشكلون ما يزيد على ٦٢٪ من سكان أمريكا، وصارت لهم سطوة وكلمة مؤثرة وفعل مؤثر في السياسة الأمريكية.

وهم يعتبرون أن دعم قيام إسرائيل في فلسطين واجب ديني مسيحي، وكذلك دعم توسعها والاعتراف بالقدس عاصمة لها، وكذلك تمويل الاستيطان اليهودي في الأرض المحتلة، وذلك لأنهم يؤمنون بثلاث إشارات إلهية يجب أن تتحقق قبل أن يعود المسيح- هذا بزعمهم- (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون):

١- قيام دولة إسرائيل من النيل إلى الفرات.

٢- امتلاك مدينة القدس التي ستكون مقرًّا لنزول المسيح.

٣- إعادة هيكل سليمان المفقود- والذي يسعى اليهود في زعمهم إلى إعادته على أنقاض المسجد الأقصى- (لا مكَّنهم الله من ذلك).

وأنت تلاحظ -أخي القارئ- معي من خلال العرض الموجز الذي قدمته لك مدى ارتباط عودة المسيح عند اليهود والنصارى بقضية فلسطين وأطراف الصراع فيها، ونستطيع تلخيص الأمر في النقاط التالية:

١- قيام إسرائيل وتوسعها واستمرارها في المحافظة على أمنها: عقيدةٌ توراتية عند النصارى

قبل اليهود.

٢- العمل الدءوب منذ قرون على إنشاء إسرائيل وعلى المحافظة عليها بعد إنشائها وإلى أن ينزل المسيح كما يزعمون.

وبصرف النظر عن صحة اعتقادهم هذا أم بطلانه، وهو لا شك باطل؛ وسنبين بطلانه إن شاء الله فيما سيأتي، لكن اسمح لي أولاً بلمحة تاريخية لن أطيل فيها تكشف لنا ظهور الصهيونية المسيحية قبل اليهودية؛ لأن الاعتقاد السائد أن هرتزل هو أول من دعا إلى قيام دولة إسرائيل ثم تلاه وعد بلفور الشهير، وهذا ليس هو الصحيح المطلق في المسألة، ولكن الحقيقة نلخصها فيما يلي:

١- بدأت الدعوة إلى قيام إسرائيل في فلسطين تظهر على يد علماء الدين المسيحي البروتستانتي، ثم رجال السياسة البريطانية سنة ١٥٦٢م.

٢- ثم على يد السياسي البريطاني هنري منسن ١٦٢١م.

٣- ثم السياسي البريطاني كروميل ١٦٤٩م.

٤- ثم الفرنسي فيليب حنتل ١٦٥٦م.

٥- ثم تبناها اللورد الإنجليزي شافنسبري، وجلادستون سنة ١٨٨٢م، ثم بالمرستون وزير الخارجية البريطاني سنة ١٨٩٥م.

٦- كل هذه المراحل سبقت دعوة هرتزل الشهيرة، والتي تبنى فيها قيام الدولة اليهودية في فلسطين، ودعا اليهود إلى العمل على تحقيق ذلك في مؤتمر بال الشهير سنة ١٨٩٧م، ثم تدافعت الجهود التي تمخضت عن وعد بلفور المشهور سنة ١٩١٧م، وبلفور هذا «كان يؤمن إيمانًا عميقًا بالتوراة، ويقرؤها ويصدق بها حرفيًا، ونتيجة لإيمانه أصدر هذا الوعد». هذا ما ذكرته عنه صاحبة سيرته الذاتية، وهي ابنة أخته. [انظر كتاب: القدس للدكتور سفر الحوالي ص٤٥، ط مكتبة السنة بالقاهرة سنة ١٩٩٤م].

«سر تأييد أمريكا المطلق لإسرائيل»

هذا ونحن لا زلنا نذكر أحداث ١٩٤٨م وما تلاها إلى يومنا هذا، والواقع على الأرض يكفيني مؤنة ذكر تفاصيل تاريخية كثيرة، ولعل القارئ الكريم اكتشف معي الآن سر تأييد أمريكا المطلق لإسرائيل، وأحب أن أزيد هذه القضية إيضاحًا؛ لظني أنها تخفى على كثير من الناس، فقد برز دور أمريكا واضحًا في قضية إسرائيل بسبب هجرة البروتستانت إليها، وإلى الآن ما يزالون هم أكثر سكان أمريكا، وقد خرجوا من أوربا بروح التدين التوراتي، فلما دخلوا أمريكا قالوا بأن هذا خروج مثل خروج بني إسرائيل ودخولهم إلى الأرض المقدسة (في الزمن القديم)، وأخذوا يسمون المدن والمناطق في أمريكا بأسماء من التوراة، واعتقدوا أن هذه الأرض البكر بشرى بشرهم الله بها في الدنيا.

وتم تأسيس المجتمع الأمريكي على أساس بروتستانتي توراتي، وقرر الرئيس الأمريكي الأسبق كارتر هذه العقيدة بوضوح فقال: «لقد آمن بذلك سبعة رؤساء أمريكيين، وجسّد هذا الإيمان بأن علاقات الولايات المتحدة الأمريكية مع إسرائيل هي أكثر من علاقة خاصة، بل هي علاقة فريدة؛ لأنها متجذرة في ضمير وأخلاق ودين ومعتقدات الشعب الأمريكي نفسه، لقد شكّل إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية مهاجرون طليعيون ونحن نتقاسم تراث التوراة»[انظر: البعد الديني في السياسة الأمريكية، د. يوسف حسن، ط مركز دراسات الوحدة العربية سنة ١٩٩٠م].

وهذا الذي يقوله كارتر هو عقيدة كثير من رؤساء أمريكا على مر تاريخها الطويل، ولا فرق بينهم ممن ينتسب إلى الحزب الجمهوري أو الحزب الديمقراطي، وكذلك لا فرق بين الساسة ورجال الدين، وأهل الفن ورجال الاقتصاد.

وخشية الإطالة في بحثنا أذكر فقط بعض الأمثلة المحدودة، فهذا الرئيس الأمريكي السابق ريجان يقول في حديث له مع المدير التنفيذي للوبي اليهودي في أمريكا (إيباك): «حيثما أتطلع إلى نبوءاتكم القديمة في العهد القديم وإلى العلامات المنبئة بهرمجدون أجد نفسي متسائلاً عما إذا كنا نحن الجيل الذي سيرى ذلك واقعًا ولا أدري إذا كنت قد لاحظت مؤخرًا أيًا من هذه النبوءات، لكن صدقني أنها تنطبق على زماننا الذي نعيش فيه».

وقال أيضًا: «إنني دائمًا أتطلع إلى الصهيونية كطموح جوهري لليهودي، وبإقامة دولة إسرائيل تمكن اليهود من إعادة حكم أنفسهم بأنفسهم في وطنهم التاريخي ليحققوا بذلك حلمًا عمره ألفا عام».[المصدر السابق].

لاحظ أن كلمة «صهيونية» التي يعتز بها ريجان ترمز لدولة داود؛ لأنها مشتقة من جبل صهيون في القدس والذي بنى عليه داود عليه السلام بيته بعد انتقاله من الخليل، وهي شعار الحركة السياسية التي ترمي إلى إقامة إسرائيل في فلسطين لإعادة مملكة داود- كما يزعمون-، وجاء كلينتون ليعلن بصراحة: «إنني أعتقد أنه يتوجب علينا الوقوف إلى جانب إسرائيل في محاولاتها التاريخية لجمع مئات الألوف من المهاجرين لمجتمعها ودولتها»[انظر: مجلة المراقب العدد الأول ص٩، ١٠].

وللحديث بقية، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وإلى لقاء قريب بحول الله وقوته.

الـرِّفـق جـمـاع الـخـيـر

عبده الأقرع

الحمد لله ولي من اتقاه، يهدي إلى الطيب من القول من اصطفاه واجتباه، وأصلي وأسلم على من أدبَّه ربُّه فاحسن تاديبه فكان مثالا يحتذى به ويقتدي، فصلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم التناد.

أما بعدُ: فلا شك أن رسالة الإسلام رسالة خير وبرّ وسلام، ومبادئه مبادئ عدل وحب ووئام، ومن مقاصده: إصلاح أحوال العباد في أمور المعاش والمعاد، والحث على الإصلاح، وحماية الناس من طرق الشرّ والفساد، يدرأ المفاسد، ويجلب المصالح، ويقلل الخلاف، ويحث على الجماعة والائتلاف، ويزْجُرُ أبناءَهُ عن العنف والقسوة والجفاء، ويربي أتباعه على التوادد والتراحم، والترابط والتلاحم، في تعامل رفيق، وترابط وثيق، ولهذا كان المجتمع الإسلامي مجتمع محبة وصفاء، ومودة وإخاء، وطهر ونقاء، وسلامة وهناء، لا يعرف الحقد والبغضاء، والعنف والشحناء.

أكثر الناس رفقا وأعظمهم حلمًا:

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يا عائشة، إنَّ الله رفيقٌ يحبُّ الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يُعطي على ما سواه». [مسلم: ٢٥٩٣، باب فضل الرفق].

إن الرجل العظيم كلما ارتفع إلى آفاق الكمال، اتسع صدره، وامتد حلمه، وتطلب للناس الأعذار، وما أظلت السماء وأقلت الغبراء، أكثر رفقا، وأعظم حلمًا، من نبينا المصطفى وحبيبنا المجتبى- بأبي هو وأمي عليه الصلاة والسلام- وسع خلقه الناس سهولة ورفقا، وفاضت طبيعته العالية، وسجيته الكريمة المحسن والمسيء، فاستحق هذه الشهادة من الرب الرحيم، « وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ » [القلم: ٤]، وهو الموصوف « فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ » [آل عمران: ١٥٩].

وعن مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في نفرٍ من قومي فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رحيمًا رفيقًا، فلما رأى شوقنا إلى أهالينا قال: «ارجعوا فكونوا فيهم وعلموهم وصلوا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم». [البخاري- الفتح: ٦٢٨ واللفظ له، ومسلم: ٦٧٤].

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن يهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: السَّام عليكم. فقالت عائشة: عليكم ولعنكم الله وغضب الله عليكم، قال: «مهلاً يا عائشة، عليك بالرفق وإياك والفحش». قالت: أو لم تسمع ما قالوا؟ قال: «أو لم تسمعي ما قلتُ رددت عليهم؛ فيُستجاب لي فيهم ولا يُستجاب لهم فيَّ». [البخاري- الفتح: ١٠/ ٦٠٣٠].

سبحان الله ما أعظم هذا الخُلق العظيم!!

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بال أعرابيٌ في المسجد، فقام الناسُ إليه ليقعوا فيه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «دعوه وأريقوا على بوله سجلاً من ماء، أو ذَنُوبًا من ماء، فإنما بُعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين». [البخاري: ٢٢٠].

معنى: «السَّجْل»: هي الدلو الممتلئة ماء.

وفي هذا الحديث فوائد:

منها: العذر بالجهل، وأنَّ الإنسان الجاهل لا يُعامَل كما يعامل العالم، لأن العالم معاند، والجاهل متطلع للعلم فيُعذر بجهله، ولهذا عذره النبي صلى الله عليه وسلم ورفق به.

ومنها: أنَّ الشرع يقتضي دفع أعلى المفسدتين بأدناهما، يعني إذا كان هناك مفسدتان لا بد من ارتكاب أحدهما، فإنه يُرتكب الأسهل.

فلهذا ترك النبي صلى الله عليه وسلم هذا الرجل يبول حتى انتهى، ثم أمر بأن يُصَبَّ على بوله ذنوب من ماء؛ دفعًا للمفاسد التي تترتب على منعه من إكمال بوله، ومنها: الضرر على هذا البائل؛ لأنَّ البائل إذا مُنع البول المتهيئ للخروج ففي ذلك ضرر، فربما تتأثر مجاري البول ومسالك البول.

ومنها: لئلا تصيب قطرات البول سائر المسجد، وحينئذ تكون القطرات منتشرة في المكان كله. [شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٦٧٣/١].

الله أكبر؛ هذه سمات أهل القلوب الشفيقة، والعقول الراجحة، والأفكار النيرة، وهي في الرجال تُدرج في سُلم الكمال عقلاً ورزانة.

فالرفق جماع الخير، وطريق محبة الخلق، والوصول إلى الحق ورضا الرب، وأنه ما قال صلى الله عليه وسلم: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنزع من شيء إلا شانه». [مسلم رقم: ٢٥٩٤].

وقال صلى الله عليه وسلم: «من يُحرم الرفق يحرم الخير كله». [مسلم: ٢٥٩٢].

العنف في الإنسان دليل نقص:

وإذا كنا نعيش في زمن رفع العنف صوته، وتوارى الرفق على استحياء، فنقول: إن العنف في الإنسان دليل نقص ونزق (أي: خفة في كل أمر)، وعجلة في جهل وحمق، ومتى اجتمع في فرد عنف وعجلة، ضر نفسه، وأوكسها، وجنى على مجتمعه وأمته وأركسها، وهو لا يحل المشكل من الأمور، يقول ابن القيم رحمه الله: «ومن تأمل ما جرى للإسلام من الفتن صغارها وكبارها، رآها من إضاعة هذا الأصل، وعدم الصبر على المنكر، فطلب إزالته، فتولد منه ما هو أكبر منه». [إعلام الموقعين ٤/٣].

ولهذا لا عجب أن نرى أناسًا داخلهم اليأس، فانفتلوا قبل منتصف الطريق، وفهموا دُروب الإصلاح، على أنها مواجهة ومناطحة، فحصل بذلك من الفتن ما لا يعلمه إلا الله.

الرفق في الدعوة إلى الله:

وإن من الرفق: الرفق في الدعوة إلى الله، فقد أرسل الله موسى وهارون- عليهما السلام- إلى فرعون مُدَّعي الربوبية، والمعتدي على مقام الألوهية، فقال: «اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ» [طه: ٤٣-٤٤].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، فينبغي أن يكون عليمًا بما يأمر به، عليمًا بما ينهى عنه، رفيقًا فيما يأمر به، رحيمًا فيما ينهى عنه، حليمًا فيما يأمر به، حليمًا فيما ينهى عنه، فالفقه قبل الأمر، والرفق عند الأمر، والحلم والصبر بعد الأمر». [مجموع الفتاوى: ١٦٧/١٥].

ولذلك قيل: «ما أحسن الإيمان يزينه العلم، وما أحسن العلم يزينه العمل، وما أحسن العمل يزينه الرفق، وما أضيف شيء إلى شيء مثل حلم إلى علم». [إحياء علوم الدين: ١٨٩/٣].

فالناصح الأمين شفيق على إخوانه، رفيق بهم، فالرفق يُحبب فيك الرفيق، ويدني منك الصديق.

إذا نزل الرفاق وأنت ممن
بلا رفق بقيت بلا رفيق

أما العنف فيبعدك عن الصواب، ويجرُّ عليك اللوم والعتاب، ويفقدك الصحاب والأحباب، فلا تقبل منك دعوة، ولا يُسمع منك توجيه، ولا يرتاح لك جليس، «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ» [آل عمران: ١٥٩].

وعليه: فلا ينبغي أن يُتخذ العنف منهاجًا للدعوة والإصلاح، ولقد صح واستقام لدى العقلاء، أن العنف لا يُولدُ إلا عُنفا مثله وأشد منه، ومهما يكن من أمر فحلُ الأمور بالرِّفق والتؤدة، والحكمة مطلبٌ مُلحٌ، لتحقيق مصالح الأمة من الرعاة والرعية، والحكيم من يضع الأمور مواضعها.

ألا وإن من الرفق: الرفق في الأمور الأُسَرِيَّة، فما كثرت المشكلات، وما عم الشقاق والطلاق والفراق، إلا بسبب العنف، ومجانبة الرفق في الأمور.

فالرفق في الأمور كلها سر النجاح والتوفيق.

إذ بالرفق تسهل الأمور، ويتصل بعضها ببعض، ويرجع إلى المأوى ما شذ، وبه يُجمعُ الشتات، فهو إذن جامعُ الجماعات، وجامعٌ أيضًا للطاعات، وبالطاعات يؤلف الله القلوب، ويجمع الجماعات المتفرقة، ويؤلف بين الجماعات المتباغضة. [فيض القدير: ٤٦١/٥].

فعلى العبد أن يتحلى بالرفق، وأن يتخلى عن العنف، فإنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من أُعطي حظه من الرفق فقد أُعطي حظهُ من الدنيا والآخرة». [الصحيحة رقم: ٥١٩].

وعن قيس بن أبي حازم، قال: «كان يُقال مَن يُعط الرفق في الدنيا نفعه في الآخرة». [أخرجه وكيع في الزهد ٧٧٧/٣].

نسأل الله عز وجل أن يرزقنا الرفق في الأمور كلها، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

باب التراجم

الإمام الفقيه: عبد الله بن عباس

إعداد/ صلاح نجيب الدق

الحَمْدُ للهِ الذي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا، والصلاة والسلام على نبينا محمد، الذي أرسله ربه هاديا ومبشرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا.

أما بعد: فإن الإمام عبد الله بن عباس رضي الله عنهما هو أحد أصحاب نبينا محمد صلى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ، الذين قال مدحهم الله تعالى في كتابه العزيز قائلا: (وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ) (الحجرات: ٧).

وهو أحد فقهاء الإسلام المشهورين، وقد خصص حياته لنشر العلم النافع، والتصدي لأهل البدع، من أجل ذلك أحببت أن أذكر نفسي وإخواني الكرام بشيء من سيرته العطرة. فأقول وبالله التوفيق:

اسمه ونسبه:

عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كنيته: أبو العباس، وهو أكبر أولاده.

أمه: هي أم الفضل لبابة الكبرى، بنت الحارث الهلالية، وهي أخت ميمونة بنت الحارث، زوجة النبي صلى الله عليه وسلم. (أسد الغابة لابن الأثير ج ٣ص ١٨٥).

مولد عبد الله بن عباس:

وُلد ابن عباس قبل الهجرة بثلاث سنين، أي في العام العاشر من بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم. (سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٣ص ٣٣٢).

صفات ابن عباس الخَلْقية:

كان عبد الله بن عباس أبيض، طويلاً، مُشرَبا صفرة، جسيما، وسيما، صبيح الوجه، له وفرة، يخضب بالحناء.

قال ابنُ جُريج: كنا جلوساً مع عطاء بن أبي رباح في المسجد الحرام، فتذاكرنا ابن عباس، فقال عطاء: ما رأيت القمر ليلة أربع عشرة إلا ذكرت وجه ابن عباس. (سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٣ص ٣٣٦).

إسلام ابن عباس:

أسلَمَ عبد الله بن عباس قبل أبيه، وهاجر مع أبويه إلى المدينة عام فتح مكة، أي: في العام الثامن من الهجرة. (سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٣ص ٣٣٣).

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كُنْتُ أَنَا وَأُمِّي مِنْ الْمُسْتَضْعَفِينَ، أَنَا مِنْ الْوِلْدَانِ، وَأُمِّي مِنْ النِّسَاءِ. (البخاري حديث: ١٣٥٧).

أولاد عبد الله بن عباس:

رزق اللهُ تعالى ابن عباس بسبعة أولاد: من الذكور خمسة وهم: العباس (الابن الأكبر)، وعلي (جد الخلفاء العباسيين)، والفضل، ومحمد، وعُبيد الله، ومن الإناث: اثنتان، وهن: لبابة وأسماء. (سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٣ص ٣٣٣).

دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس:

(١) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قال: ضَمَّنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى صَدْرِهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْحِكْمَةَ». (البخاري حديث: ٣٧٥٦).

(٢) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ الْخَلَاءَ فَوَضَعْتُ لَهُ وَضُوءًا. قَالَ: مَنْ وَضَعَ هَذَا؟ فَأُخْبِرَ. فَقَالَ: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ». (البخاري حديث: ١٤٣).

(٣) عَنْ عبد الله بن عَبَّاسٍ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَصَلَّيْتُ خَلْفَهُ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَجَرَّنِي فَجَعَلَنِي حِذَاءَهُ، فَلَمَّا أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى صَلَاتِهِ خَنَسْتُ فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ لِي: مَا شَأْنِي أَجْعَلُكَ حِذَائِي فَتَخْنِسُ؟ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَيَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يُصَلِّيَ حِذَاءَكَ وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ الَّذِي أَعْطَاكَ اللَّهُ؟ قَالَ: فَأَعْجَبْتُهُ فَدَعَا اللَّهَ لِي أَنْ يَزِيدَنِي عِلْمًا وَفَهْمًا. (مسند أحمد ج ٥ ص ١٧٨حديث: ٣٠٦٠، بسند صحيح).

ابن عباس يتعلم على يد النبي صلى الله عليه وسلم:

عَنْ ابْنِ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما قَالَ: بِتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ لَيْلَةً فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ قَامَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ فَتَوَضَّأَ مِنْ شَنٍّ مُعَلَّق (قربة) وُضُوءًا خَفِيفًا يُخَفِّفُهُ عَمْرٌو وَيُقَلِّلُهُ جِدًّا، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي فَقُمْتُ فَتَوَضَّأْتُ نَحْوًا مِمَّا تَوَضَّأَ، ثُمَّ جِئْتُ فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ فَحَوَّلَنِي فَجَعَلَنِي عَنْ يَمِينِه، ثُمَّ صَلَّى مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ اضْطَجَعَ فَنَامَ حَتَّى نَفَخَ فَأَتَاهُ الْمُنَادِي يَأْذَنُهُ بِالصَّلَاةِ فَقَامَ مَعَهُ إِلَى الصَّلَاةِ فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ. (البخاري حديث: ٨٥٩).

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ: يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّه، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ. (صحيح الترمذي للألباني حديث: ٢٠٤٣).

طلب ابن عباس للعلم:

(١) عن ابن عباس قال: لما قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت لرجل من الأنصار: هلم فلنسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنهم اليوم كثير، فقال: عجباً لك يا ابن عباس، أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من فيهم؟! قال: فتركت ذاك، وأقبلت أسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن كان يبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه وهو قائل، فأتوسد ردائي على بابه يسفي الريح عليَّ من التراب فيخرج، فيراني فيقول: يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء بك؟ هلا أرسلت إليَّ فآتيك؟ فأقول: لا، أنا أحق أن آتيك، قال: فأسأله عن الحديث، فعاش هذا الرجل الأنصاري حتى رآني، وقد اجتمع الناس حولي يسألوني، فقال: هذا الفتى كان أعقل مني. (مستدرك الحاكم ج ١ص ١٨٨، بسند صحيح).

(٢) قال عبد الله بن عباس: كنت أسأل عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. (سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٣ص ٣٤٤).

(٣) عن أبي سلمة الحضرمي قال: سمعت ابن عباس يقول: كنت ألزم الأكابر من أصحاب رسول صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار، فأسألهم عن مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نزل من القرآن في ذلك، وكنت لا آتي أحداً منهم إلا سُرَّ بإتياني لقربي مِنْ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعلت أسأل أبيَّ بن كعب يومًا، وكان من الراسخين في العلم عما نزل من القرآن بالمدينة، فقال: نزل بها سبع وعشرون سورة، وسائرها بمكة. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ص ٢٨٤: ٢٨٣).

عبادة عبد الله بن عباس:

قال ابنُ أبي مُليكة: صحبت ابن عباس من مكة إلى المدينة، فكان يصلي ركعتين، فإذا نزل، قام شطر الليل، ويرتل القرآن حرفا حرفا، ويُكثر في ذلك من النشيج والنحيب. (سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٣ص ٣٥٢).

قال أبو رجاء: رأيت ابن عباس وأسفل من عينيه مثل الشراك البالي من البكاء. (سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٣ص ٣٥٢).

وصية العباس لابنه عبد الله:

عن عامر الشعبي عن ابن عباس قال: قال لي أبي: أي بني إني أرى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يدعوك ويقربك، ويستشيرك مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فاحفظ عني ثلاث خصال: اتق الله، لا يجربن عليك كذبة، ولا تفشين له سرا، ولا تغتابن عنده أحداً. قال عامر الشعبي: فقلت لابن عباس كل واحدة خير من ألف درهم. قال ابن عباس: كل واحدة خير من عشرة آلاف درهم. (حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني ج ١ص ٣١٨).

علم عبد الله بن عباس:

أخرج المحدثون في كتب السنة لعبد الله بن عباس ألفا وست مئة وستين حديثاً، وله من ذلك في البخاري ومسلم خمسة وسبعون حديثاً. تفرد البخاري له بمائة وعشرين حديثاً، وتفرد مسلم بتسعة أحاديث. (سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٣ص ٣٥٩).

(١) عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: أُتِيَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِزَنَادِقَةٍ فَأَحْرَقَهُمْ. فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ: لَوْ كُنْتُ أَنَا لَمْ أُحْرِقْهُمْ لِنَهْيِ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: لَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللَّه وَلَقَتَلْتُهُمْ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ. (البخاري حديث ٦٩٢٢).

(٢) عَنْ ابْنِ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ فَقَالَ: بَعْضُهُمْ لِمَ تُدْخِلُ هَذَا الْفَتَى مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ؟ فَقَالَ: إِنَّهُ مِمَّنْ قَدْ عَلِمْتُمْ. قَالَ: فَدَعَاهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ وَدَعَانِي مَعَهُمْ، قَالَ: وَمَا رَأَيْته

دعاني يومئذ إلَّا ليُريَهُم منِّي، فقال: ما تقولون في (إذا جاءَ نصرُ اللهِ والفتحُ ورأيت النَّاسَ يدخلون في دين الله أفواجًا)؟ حتَّى ختم السُّورة، فقال بعضُهُم: أمرنا أنْ نحمد اللهَ ونستغفرَهُ إذا نصرنا وفتح علينا، وقال بعضُهُم: لا ندري، أو لم يقل بعضهم شيئًا، فقال لي: يا ابنَ عبَّاس أكذاك تقول؟ قلتُ: لا. قال: فما تقولُ؟ قلتُ: هُو أجل رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أعلمهُ اللهُ لهُ (إذا جاءَ نصرُ الله والفتحُ)، فتحُ مكَّة، فذاك علامةُ أجلك (فسبِّحْ بحمد ربِّك واستغفرْهُ إنَّهُ كان توَّابًا). قال عُمرُ: ما أعلمُ منها إلَّا ما تعلمُ. (البخاري حديث: ٤٢٩٤).

مناظرة ابن عباس مع الخوارج:

قال عبد الله بن عباس: لما اعتزلت الحرورية (الخوارج) قلت لعلي: يا أمير المؤمنين أبرد عني الصلاة لعلي آتي هؤلاء القوم فأكلمهم. قال: إني أتخوفهم عليك. قلت: كلا إن شاء الله. فلبست أحسن ما أقدر عليه من هذه (نوع من الثياب) اليمانية، ثم دخلت عليهم وهم قائلون في نحر الظهيرة، فدخلت على قوم لم أر قوما قط أشد اجتهادا منهم.. قال: فدخلت فقالوا مرحبا بك يا ابن عباس ما جاء بك؟ قال: جئت أحدثكم عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الوحي وهم أعلم بتأويله.

فقال بعضهم: لا تحدثوه. وقال بعضهم: لنحدثنه.

قلت أخبروني ما تنقمون على ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه (زوج ابنته فاطمة)، وأصحاب رسول الله معه؟ قالوا: ننقم عليه ثلاثا.

قلت وما هن؟

قالوا: أولاهن أنه حَكَّمَ الرجالَ في دين الله، وقد قال الله عز وجل: (إنِ الحُكْمُ إلا لله). قلت: وماذا؟

قالوا: قاتل، ولم يَسْبِ، ولم يغنم، لئن كانوا كفارًا لقد حلت له أموالهم، وإن كانوا مؤمنين لقد حرمت عليه دماؤهم؟

قال: قلت: وماذا؟

قالوا: ومحا نفسه عن أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين.

قال: قلت: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم وحدثتكم من سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم ما لا تنكرون أترجعون؟ قالوا: نعم. قلت: أما قولكم: إنه حكَّمَ الرجالَ في دينِ الله، فإن الله يقول: (يَا أيُّها الَّذينَ آمنُوا لا تقتُلُوا الصَّيدَ وَأنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فجزاءٌ مثلُ ما قتل من النَّعم يَحْكُمُ به ذَوا عَدْلٍ منْكُمْ)، وقال في المرأة وزوجها (وإنْ خفْتُمْ شقاقَ بَيْنِهما فابعثُوا حكَمًا منْ أهْله وحَكَمًا منْ أهلها)، أنشدكم الله أفحكم لرجال في حقن دمائهم وأنفسهم وصلاح ذات بينهم أحق أم في أرنب ثمنها ربع درهم.

فقالوا: اللهم في حقن دمائهم وصلاح ذات بينهم.

قال أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم.

قال: وأما قولكم: إنه قاتل ولم يسب ولم يغنم، أتسبون أمكم عائشة، ثم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها، فقد كفرتم، وإن زعمتم أنها ليست بأمكم فقد كفرتم وخرجتم من الإسلام. إن الله عز وجل يقول (النَّبيُّ أولى بالمُؤمنين منْ أنْفُسهِمْ وأزْواجُهُ أمَّهاتُهُمْ)، فأنتم تترددون بين ضلالتين فاختاروا أيهما شئتم.

أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم.

قال: وأما قولكم: محا نفسه من أمير المؤمنين، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا قريشا يوم الحديبية على أن يكتب بينه وبينهم كتابا. فقال: اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله. فقالوا: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله. فقال: والله إني لرسول الله وإن كذبتموني. اكتب يا عليّ محمد بن عبد الله، فرسول الله كان أفضل من عليّ. أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم.

فرجع منهم عشرون ألفا، وبقي أربعة آلاف فقُتلوا. (حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني ج ١ ص ٣٢٠: ٣١٨).

وفاة عبد الله بن عباس:

عن سعيد بن جبير قال: مات ابن عباس بالطائف فشهدت جنازته، فجاء طير لم يُر على خلقته ودخل في نعشه فنظرنا وتأملنا هل يخرج فلم يُر أنه خرج من نعشه، فلما دُفنَ تُليت هذه الآية على شفير القبر، ولا يُدرى من تلاها (يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى) (مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٥٤٣ وسكت عنه الذهبي).

أُصيب ابن عباس بالعمى في أواخر حياته، ومات عام ثمان وستين من الهجرة، وكان عمره إحدى وسبعين عاماً، وصلى عليه محمد ابن الحنفية. (أسد الغابة لابن الأثير ج ٣ص ١٨٩، وصفة الصفوة لابن الجوزي ج١ص ٧٥٧).

رحمَ اللهُ عبدَ الله بن عباس رحمةً واسعةً، وجزاه الله عن الإسلام خير الجزاء. ونسأل الله تعالى أن يجمعنا به في الفردوس الأعلى من الجنة. وصلى اللهُ وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ- رضي الله عنه- أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمْ الْجَنَّةَ، اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ». [مسند أحمد ٢٢٨٠٩، وحسنه الألباني].

من نور كتاب الله

من صفات أهل الإيمان

قال تعالى: « إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ »

[الأنفال: ٢].

واحة التوحيد

حكم ومواعظ

عن عبد الله بن المبارك قال: صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس، وإذا فسدا فسد الناس، قيل: من هم؟ قال: الملوك، والعلماء. [المجالسة للدينوري ٢/٣٠٨].

أكل العجوة تقي من السحر

عن عامر بن سعد، عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مَنْ تَصَبَّحَ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعَ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً لَمْ يَضُرَّهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ سُمٌّ وَلَا سِحْرٌ»

[صحيح البخاري ٥٤٤٥].

من حكم الشعر

قال مسعر بن كدام يحذر من المعاصي:

تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها
من الحرام ويبقى الإثم والعارُ
تبقى عواقبِ سوءٍ من مغبتها
لا خيرَ في لذةٍ من بعدها النارُ

أحسن عزاء

قال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل فقد ولده : «أما يسرك ألا تأتي باباً من أبواب الجنة إلا وجدته يسعى يفتح لك» [سنن النسائي. صحيح]

من دلائل النبوة

إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- خَرَجَ يَوْمَ بَدْرٍ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- «اللَّهُمَّ إِنَّهُمْ حُفَاةٌ فَاحْمِلْهُمْ، اللَّهُمَّ إِنَّهُمْ عُرَاةٌ فَاكْسُهُمْ، اللَّهُمَّ إِنَّهُمْ جِيَاعٌ فَأَشْبِعْهُمْ». فَفَتَحَ اللَّهُ لَهُ يَوْمَ بَدْرٍ فَانْقَلَبُوا حِينَ انْقَلَبُوا وَمَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلاَّ وَقَدْ رَجَعَ بِجَمَلٍ أَوْ جَمَلَيْنِ، وَاكْتَسَوْا وَشَبِعُوا. [رواه أبو داود ٢٧٤٩ وحسنه الألباني].

إعداد: علاء خضر

من أقوال السلف

عن مالك بن أنس رضي الله عنه قال: ما قلت الآثار في قوم إلا ظهرت فيهم الأهواء، ولا قلَّت العلماء إلا ظهر في الناس الجفاء.

[ذم الكلام للهروي ٥/٧٩].

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

رأيتُ على بابِ الجنةِ مكتوباً: «لا إلا اللهُ محمدٌ رسولُ الله، عليٌّ أخو رسول الله. هذا الحديث باطل ومن أكاذيب وأباطيل الشيعة

من جوامع الدعاء

عن شداد بن أوس قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِذَا كَنَزَ النَّاسُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ فَاكْنِزُوا هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ حُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، وَأَسْأَلُكَ لِسَانًا صَادِقًا، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ؛ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ» [مسند أحمد ١٧١٥٥ وصححه الألباني].

ميزان السلف في حب الصحابة

عن إبراهيم بن سعيد الجوهري أنه: سأل أبا أسامة أيهما كان أفضل؟ معاوية أو عمر بن عبد العزيز؟ فقال: لا نعدل بأصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - أحدًا. [جامع بيان العلم ٢/١٨٥].

عاقبة الظلم

قال ابن قتيبة: ذُكر الظلم في مجلس ابن عباس فقال كعب: إني لا أجد في كتاب الله المنزَل أنَّ الظلم يخرب الديار. فقال ابن عباس: أنا أُوجِدَكَهُ في القرآن، قال الله، عز وجل: «فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا» [عيون الأخبار ١/٣٢].

أثر السياق في فهم النص

تأثير قرائن السياق على الأحكام الفقهية

الحلقة (٥٨)

إعداد/ **متولي البراجيلي**

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد ذكرنا أن قرائن السياق - بمفهومها الواسع - تُستخدم وتؤثر في الأحكام الفقهية.

وأن الأحكام الفقهية تنقسم من حيث الإجمال إلى قسمين كبيرين، هما: مجال العبادات، ومجال العادات.

وبدأنا الكلام عن استخدام قرائن السياق في مجال العبادات، فكما هو مقرر، فإن العبادات توقيفية، فلا عبادة إلا بنص، وهذا التوقيف يشمل النص الشرعي الذي شُرعت به العبادة، ويشمل الكيفية التي تؤدى بها هذه العبادة، وهذه الكيفية قد تكون في الصفة، أو الزمان، أو المكان، أو العدد، أو غير ذلك.

ولكي نضبط هذه العبادة وكيفيتها ضبطًا صحيحًا، فإنه لا بد لنا من جمع كل النصوص المتعلقة بها، وإلا وقعنا في الخطأ من حيث لا ندري وعند الجمع بين النصوص فلنضع نصب أعيننا قرينة من أهم قرائن السياق في هذا الباب، ألا وهي أنه (لا تعارض بين النصوص)

فائدة: علما بأن هذه القرينة سالفة الذكر هى في نفس الوقت قاعدة من قواعد الاستدلال فبينهما علاقة الجزء من الكل كما هو معلوم وسبق أن أشرنا في حلقات سابقة وهذا بحسب التعريف الواسع لقرائن السياق وهى كل مايخدم النص

فما حقيقة التعارض بين النصوص؟

التعارض هو: أن يتقابل الدليلان؛ بحيث يخالف أحدهما الآخر، وشرع الله تعالى مبرأ من هذا التعارض، يقول الله تعالى عن القرآن: «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا». (النساء:٨٢).

وكذلك أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم مبرأة من التعارض والاختلاف، قال الله تعالى: «وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ» (النجم: ٣ - ٤).

فادلة الشرع لا تتناقض أو تتعارض مع نفسها، بل إن جميع الأدلة متفقة لا تختلف، متلازمة لا تفترق، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (الكتاب والسنة والإجماع، مدلول الثلاثة واحد، فإن كل ما في الكتاب فالرسول صلى الله عليه وسلم موافق له، والأمة مجمعة عليه من حيث الجملة؛ فليس في المؤمنين إلا من يوجب اتباع الكتاب، وكذلك كل ما في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، فالقرآن يأمر باتباعه فيه، والمؤمنون مجمعون على ذلك. وكذلك كل ما أجمع عليه المسلمون فإنه لا يكون إلا حقًا موافقا لما في الكتاب والسنة، لكن المسلمين يتلقون دينهم كله عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وأما الرسول صلى الله عليه وسلم فينزل عليه وحى القرآن، ووحي آخر هو الحكمة، كما قال صلى الله عليه وسلم: "ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه" (مجموع الفتاوى ٧/ ٤٠).

فأدلة الشرع حق، والحق لا يتناقض، بل يصدق بعضه بعضا. فمن أين إذا ينشأ هذا التعارض الظاهري (الموهوم)؟

ينشأ هذا التعارض لأسباب عدة، منها القصور في العلم: فإنه ينبغي للناظر في مسألة أن يجمع كل ما ورد فيها من نصوص، ثم يحمل النصوص المتشابهة على المحكمة، والمجمل على المبين، والعام على الخاص، والمطلق على المقيد.. ونحو ذلك. وينظر في الأحاديث الواردة في الباب فيأخذ ما صح منها ويطرح ما دونه، وسياجه في ذلك سلفه من علماء الأمة المجتهدين.

وقد يرجع ذلك إلى قصور في فهمه وتدبره، فالأمر لا يقتصر على جمع النصوص والتاليف بين بعضها البعض فحسب، بل الفهم والتدبر، وهذا رزق من الله تعالى يعطيه لمن يشاء، «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا» (النساء:٨٢).

وكما في الحديث عن أبي جحيفة رضي الله عنه، قال: قلت لعليّ رضي الله عنه: هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: لا والذي فلق الحبة

وبرأ النسمة، ما أعلمه إلا فهمًا يعطيه الله رجلاً في القرآن.. الحديث (صحيح البخاري).

فعلى الناظر في الشريعة أمران: أحدهما: أنه ينظر إليها بعين الكمال لا بعين النقصان، ويعتبرها اعتبارًا كليًا في العبادات والعادات، ولا يخرج عنها البتة..

والثاني: أن يوقن أنه لا تضاد بين آيات القرآن ولا بين الأخبار النبوية، ولا بين أحدهما مع الآخر، بل الجميع جار على مهيع واحد، ومنتظم إلا معنى واحد، فإذا أداه بادئ الرأي إلى ظاهر اختلاف فواجب عليه أن يعتقد انتفاء الاختلاف؛ لأن الله قد شهد له أن لا اختلاف فيه، فليقف وقوف المضطر السائل عن وجه الجمع، أو المسلِّم من غير اعتراض.. (انظر الاعتصام ٨٢٢/٢، والمهيع: هو الواضح البين).

الطرق المعينة على دفع التعارض:

الواجب: درء التعارض بين أدلة الشرع ما أمكن، ومن الطرق المعينة على ذلك:

١- التثبت من صحة الدليل، وهذا في حديث النبي صلى الله عليه وسلم، والتنبه مما يدعى أنه إجماع وهو ليس كذلك والتثبت من صحة الأقيسة.

٢- الاطلاع على مصادر الشريعة، وتتبع الأدلة واستقراؤها، والنظر إليها مجتمعة، ومعرفة روايات الحديث وألفاظه، فإن بعضها يفسر بعضا، وكذلك القراءات الثابتة.

٣- العلم بلغة العرب، وما فيها من دلالات ومعان، فإن فهم النص وسياقه، وعمومه وخصوصه، وحقيقته ومجازه، مما يزيل كثيرًا من الإشكالات ويدرأ كثيرا من التعارضات. (انظر معالم أصول الفقه للجيزاني ص٢٧٢).

خطوات دفع التعارض:

فإذا ظهر التعارض، فإنه يجب على الترتيب اتباع الخطوات التالية:

١- محاولة الجمع بين الأدلة ما أمكننا ذلك، والجمع يكون لأدنى مناسبة؛ لأن العمل بالدليلين خير من إسقاط أحدهما، والسواد الأعظم من إيهام التعارض يُدْفَع بالجمع.

وكان ابن خزيمة - يرحمه الله - يقول: يا أيها الناس، فليأتني من أي بقاع الأرض أيّ رجل يقول: إن هناك خبرين يتعارضان وأنا أؤلف بينهما.

٢- في حال عدم القدرة على الجمع بينهما، ننتقل إلى النسخ، فننظر في المتقدم والمتأخر، فيقدم المتأخر زمنيًا على المتقدم للعمل به، بضوابط وتفصيلات - لن نعرض لها الآن - مع الأخذ في الحسبان أن الأصل عدم النسخ، ودعوى النسخ تحتاج إلى دليل.

٣- في حالة عدم التوصل لمعرفة الناسخ من المنسوخ، وكان هناك منافاة بين النصين، بحيث إذا عُمل بأحدهما أُهمل الآخر فحينئذ يُصار إلى الترجيح - بضوابطه- فيتعين ترجيح أحد النصين عن الآخر بوجه من وجوه الترجيح.

٤- إذا لم نتمكن من الترجيح، فلنطلب الدليل في المسألة من غيرها، أو من الأدلة العامة، أو المقاصد... أو غير ذلك.

٥- إذا لم نتمكن من ذلك فعلينا التوقف، والرجوع إلى من هو أعلم. (انظر «معالم أصول الفقه: للجيزاني»)

أمثلة تطبيقية لدفع التعارض الظاهري بين النصوص:

أولاً: أمثلة على دفع التعارض بالجمع بين الأدلة:

المثال الأول: التعارض بين آيتين: الآية الأولى قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: « وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ» (الشورى ٥٢)، والآية الثانية قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: « إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ» (القصص ٥٦).

وجه التعارض: الآية الأولى تثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم يهدي، والثانية تنفي عنه الهدى حتى لمن أحب مع حرصه على ذلك، فالأولى أنها منفية عمن لا يحب.

دفع التعارض:

في كلمة الهدى، فالمثبت في الآية الأولى هي هداية الدلالة والإرشاد إلى الحق، وهذه ثابتة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أتت في الآية مطلقة بلا تقييد لمن يحب أو لا يحب، فالنبي صلى الله عليه وسلم يدل الناس إلى شرع الله تعالى، ويبينه لهم بيانا كاملاً شافيًا، ويقيم الحجة على الخلق بالبشارة والنذارة. كما قال تعالى: « رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ». أما المنفي في الآية الثانية فهي هداية التوفيق، وهي إدخال الناس في الهداية، فهذا الأمر منفي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مع من أحب؛ لأن هذا مما تفرد الله تعالى به، فلا يستطيع أحدٌ من الخلق أن يشارك الله تعالى فيه، فالأمر كله بيد الله، قال تعالى: « لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ» (آل عمران: ١٢٨) (انظر مجموع فتاوى رسائل ابن عثيمين ٢٤٠/٩-٢٤١).

المثال الثاني: التعارض بين آية وحديث:

الآية: قوله تعالى: « فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا» (الانشقاق ٧ -٨)، والحديث: عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك» (متفق عليه).

وجه التعارض:

إن لفظ الحديث عام في تعذيب كل من حُوسب، ولفظ الآية دالّ على أن هناك البعض ممن يحاسب لن يعذب.

دفع التعارض:

أولاً: إذا كان التعارض يتعلق بحديث وآية، أو حديثين، فينبغي أن نتأكد من صحة الأحاديث أولاً قبل الجمع؛ إذ لو كان الحديث غير صحيح، فلا مجال لمعارضته لآية من كتاب الله أو لحديث صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنطرحه من المسألة.

والحديث الذي معنا في المثال، هو في الصحيحين، مما يعني أنه في أعلى مراتب الحديث الصحيح.

ثانياً: هذا التعارض الظاهري الذي يبدو لنا ما بين الآية والحديث، ظهر لعائشة رضي الله عنها، فسألت عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنها تمسكت بظاهر لفظ الحساب في الحديث؛ لأنه يتناول القليل والكثير.

فجمع النبي صلى الله عليه وسلم ما بين الآية والحديث، فقال لها: إنما ذلك العرض - يعني الحساب الذي في الآية - وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عُذب (متفق عليه)، قال القرطبي: معنى قوله صلى الله عليه وسلم: "إنما ذلك العرض" أن الحساب المذكور في الآية إنما هو أن تُعرض أعمال المؤمن عليه حتى يعرف منة الله عليه في سترها عليه في الدنيا، وفي عفوه عنها في الآخرة (فتح الباري للحافظ ابن حجر ١١/٤٠٢).

قال الحافظ ابن حجر: ولأحمد وجه آخر عن عائشة - رضي الله عنها - سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بعض صلاته: اللهم حاسبني حساباً يسيراً، فلما انصرف قلت: يا رسول الله ما الحساب اليسير؟ قال: أن ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه، إن من نُوقش الحساب يا عائشة يومئذ هلك. (فتح الباري ١١/٤٠١).

المثال الثالث: تعارض بين حديثين:

الحديث الأول: حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي الصبح فتنصرف النساء متلفعات بمروطهن ما يُعرفن من الغلس. (متفق عليه) (المروط: جمع مرط، وهو كساء مُعلم من صوف أو خز. والغلس: ظلمة آخر الليل).

الحديث الثاني: عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "أسفروا بالفجر؛ فإنه أعظم للأجر" (صحيح سنن الترمذي وغيره).

وجه التعارض:

في حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الفجر، ويخرج الناس في الظلام.

وفي حديث رافع رضي الله عنه حثّ النبي صلى الله عليه وسلم على الإسفار بالفجر، والإسفار هو ظهور النور قبل طلوع الشمس مباشرة.

وقد اختلف العلماء في هذه المسألة: قال الترمذي: وهو الذي اختاره (التغليس بصلاة الفجر) غير واحد من أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما- ومن بعدهم من التابعين، وبه يقول الشافعي وأحمد وإسحاق، يستحبون التغليس بصلاة الفجر، ثم قال: وقد رأى غير واحد من أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين الإسفار بصلاة الفجر، وبه يقول سفيان الثوري (انظر سنن الترمذي ح١٥٣،ح١٥٤).

كيفية دفع التعارض:

أولاً: التأكد من صحة الحديثين: أما الحديث الأول، حديث عائشة رضي الله عنها فهو في الصحيحين، وأما الحديث الثاني: حديث رافع رضي الله عنه (فقد صححه جماعة من أهل العلم منهم الترمذي، فقال عقب إخراج الحديث: حديث رافع بن خديج حديث حسن صحيح: ح١٥٤، وشيخ الإسلام ابن تيمية قال: فإنه حديث صحيح: الفتاوى الكبرى ٢/٤٨، والألباني في صحيح سنن الترمذي وغيره).

ثانياً: من العلماء من قال: إن حديث التغليس كان في ابتداء الإسلام ثم نُسخ. ومنهم من رجّح فقال: حديث عائشة رضي الله عنها حديث فعلي، بينما حديث رافع رضي الله عنه حديث قولي من قول الرسول صلى الله عليه وسلم، فيُقدم القول على الفعل. ومنهم من استخدم التأويل، فأوّل الإسفار بأن يتضح (يضيء) الفجر، فلا يُشك فيه... إلى غير ذلك. وكما ذكرنا إنه لو أمكن الجمع وجب؛ لأن العمل بالدليلين أولى من أن نطرح دليلاً ونعمل بآخر. وهذا ما ذهب إليه أكثر من واحد من أهل العلم، يقول ابن تيمية: "أما قوله صلى الله عليه وسلم: "أسفروا بالفجر فإنه أعظم للأجر"؛ فإنه حديث صحيح. لكن قد استفاض عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يغلس بالفجر، حتى كانت تنصرف نساء المؤمنات متلفعات بمروطهن ما يعرفهن أحد من الغلس.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

من أنواع التربية الواجبة

التربية على العفة والاستعفاف

إعداد/ د. أحمد فريد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن مما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم الذي يهدف إلى إقامة المجتمع المسلم، وإعادة الخلافة على منهاج النبوة على العفة والاستعفاف".

والعفة: هي الكف عما لا يحل ولا يجمل. والاستعفاف: طلب العفاف وهو الكف عن الحرام. قال تعالى: «وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا» (النور: ٣٣).

وقال صلى الله عليه وسلم: "ومن يستعفف يعفه الله". (البخاري ١٤٢٧).

والعفة خلق إيماني رفيع، زينة الرجل المسلم والمرأة المسلمة في الدنيا والآخرة، ويحفظان به إيمانهما، ويضمنان به استقامتهما، ويستجلبان به رضا ربهما، ويعتصمان به من معاصيه وسخطه، ويحفظان به شبابهما وصحتهما.

ومما يدل على فضل العفة والاستعفاف قوله تعالى: «وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ» (النور: ٣٣).

قال الزمخشري: [وَلْيَسْتَعْفِفِ] وليجتهد في العفة؛ كأن المستعفف طالب من نَفسه العفاف، وحاملها عليه [لا يَجِدُونَ نِكَاحًا] أي: استطاعة تزوُّج، ويجوز أن يراد بالنِّكاح: ما ينكح به من المال [حَتَّى يُغْنِيَهُمْ اللهُ من فَضْلِهِ] ترجية للمستعففين وتقدمة وعد بالتفضُّل عليهم بالغنى ليكون انتظار ذلك وتأميله لطفا لهم في استعفافهم، وربطا على قلوبهم، وليظهر بذلك أن فضله أولى بالأعفاء وأدنى من الصلحاء"

وقال تعالى: «وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ» (النور: ٦٠).

ومن الآيات الكريمة في الحض على العفة وبيان سبيلها قوله سبحانه وتعالى: «قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ» (النور: ٣٠-٣١).

فغض البصر طلب للعفة؛ لأن غضه وسيلة إلى حفظ الفرج، وقال تعالى: «قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ».

ومن الآيات التي تحض على العفة وتمدح أهلها قوله تعالى: «وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ» (المعارج: ٢٩-٣٠).

وكذا الآيات التي تحض على الزواج؛ فالزواج أغض للبصر وأحصن للفرج، قال تعالى: «وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ» (النور: ٣٢).

وكذا الآيات التي تحض على الحجاب؛ فإنها تحض على العفة والطهارة وزكاة النفس وطهارة المجتمع، قال تعالى: «وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ» (النور: ٣١).

وقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ» (الأحزاب: ٥٩).

والشرع كله طهارة وعفة، وصيانة للقلب والجوارح، من سلم نفسه للشرع المتين تولى تطهيره وتطييبه وحمايته ورعايته، فليس على المؤمن إلا أن يكون بين يدي الشارع كالميت بين يدي الغاسل، فالإسلام يحرم على المسلم النظر إلى الأجنبية، والخلوة بها ومصافحتها والدخول عليها، والسفر بها، ويحرم على المرأة التبرج، والخضوع بالقول، والطيب خارج بيتها، فيكون بين المسلم الملتزم بالشرع وبين

الفاحشة أبواب كثيرة مغلقة، وقد قال الله عز وجل: « وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا » (الإسراء: ٣٢).

فحرم الزنا وكذا الذرائع والطرق الموصلة إليه، فالنظر المحرم والخلوة المحرمة، والسفر المحرم كل ذلك يقرب من الفاحشة.

ثمرات تربية الشباب على العفة:

ومما يعين على تربية الشباب على العفة: معرفته ثمرات العفة العاجلة والآجلة.

١- فمن ثمراتها: طهارة الفرد ونقاء المجتمع؛ فالعفيف يحيى حياة اجتماعية مستقرة يتمتع بالسمعة الطيبة، والذكر الحسن، والزواج السعيد ويهنأ بنفسية مستقرة مطمئنة يأنس بالطاعة وبهجة القرب من الله، ولذة العبادة وحلاوة الإيمان، ويسعد مجتمعه بأخلاقه الفاضلة وبحياته وعفافه وحشمته وتقواه وستره وصبره.

فقل لي بربك: ألا يسعد المجتمع بأمثال هؤلاء؟ أم أن المجتمع الذي استمرأ العيش في الظلام، وأكل اللحم الحرام، لا يرعى المحرمات ولا همَّ له إلا إشباع الشهوات؟!

٢- ومن ثمراتها: النجاة من الإصابة بالأمراض الخبيثة التي تلاحق أصحاب الشهوات والنزوات كالإيدز والزهري والسيلان، نعوذ بالله من الخذلان.

ومن ثمراتها: التدريب على مخالفة الهوى، والله عز وجل لم يجعل للجنة طريقاً إلا في مخالفة الهوى؛ فقال تعالى: « وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِىَ الْمَأْوَىٰ » (النازعات ٤٠-٤١)، وقد حُفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات.

٣- ومن ثمراتها: التدرب على قوة الإرادة والعزيمة على فعل الطاعات وترك المعاصي؛ فمن استطاع مخالفة هوى نفسه تقوى إرادته في سائر الطاعات، وكذا يقوى على قهر نفسه وكفها على سائر المعاصي، أما من اتبع هواه وخالف مقتضى العفة والاستعفاف، فإنه تقوى عليه نفسه في سائر الميادين؛ فلا تراه يصمد أمام عدو أو يصبر إذا تعرض لبلاء أو يثبت إذا تعرض لفتنة النساء.

٤- ومن ثمراتها: أن يطمئن المؤمن على إيمانه وإخلاصه لله عز وجل قال تعالى: « كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوٓءَ وَالْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ » (يوسف: ٢٤).

روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال " صدق الإيمان أن يخلو الرجل بالمرأة الحسناء فيدعها لله ".

٥- ومن ثمراتها: أن يصون العبد عرضه، فمن حافظ على أعراض الناس حفظ الله عرضه، ومن عبث بأعراض الناس عبث الناس بعرضه، والجزاء من جنس العمل، وقد قيل: من كان يحرص على عرضه؛ فليحرص على أعراض الناس، وكل دَيْن لا بد له من وفاء، ودين الأعراض وفاؤه الأعراض، والمرء يهتك عرضه حين يهتك أعراض الناس.

٦- ومن ثمرات العفة: الوصول إلى الزواج المثالي: فإن الشباب الذي أرخى العنان لشهواته، وتعود على تدنيس الأعراض وإشباعه رغباته بألوان متعددة من المفاسد، لن يطيق صبراً عنها وإن تزوج، إلا أن يتوب، ويبدأ بزواجه صفحة جديدة من حياته، وكذلك التي خرجت من حصنها العفيف وخالطت الرجال وعاشرتهم من الصعب بعد ذلك أن تخضع لزوج تهب له كل حياتها إلا بعد توبة نصوح.

أما أهل العفاف من الرجال والنساء؛ فإن المودة والرحمة والسكن تتبادل بين الزوجين، ويرى كل منهما في الآخر الحب المخلص، والمنحة الأبدية وعنوان الرخاء فيتعلق كل منهما بالآخر إلى النهاية.

٧- ومن ثمراتها: أن يستظل العبد العفيف بظل عرش الرحمن يوم القيامة، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال؛ فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه".

قال النووي: " وخص ذات المنصب والجمال لكثرة الرغبة فيها، وعسر حصولها وهي جامعة للمنصب والجمال، ولاسيما وهي داعية إلى نفسها؛ طالبة لذلك، قد أغنت عن مشاق التوصل إلى مراودة ونحوها؛ فالصبر عنها لخوف الله تعالى - وقد دعت إلى نفسها مع جمعها المنصب والجمال- من أكمل المناصب وأعظم الطاعات، فرتب الله تعالى عليه أن يظله في ظله ".

نسأل الله أن يرزقنا الهدى والتقى والعفاف والغنى، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أسئلة القراء عن الأحاديث

كتبه/ المحدث
أبو إسحاق الحويني

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه.

وبعد: نواصل - بعون الله - الإجابة على أسئلة قراء مجلة التوحيد عن الأحاديث النبوية الشريفة، فنقول:

١- سُئلت عن حديث: (ذهب حُسن الخلق بخير الدنيا والآخرة).

قلت: هذا حديث منكرٌ.

أخرجه ابن أبي الدنيا في (التواضع) (١٦٩)، قال: حدثني أبو محمد العباس بن أبي طالب، ثنا عبيد بن إسحاق، عن سنانٍ بن هارون، عن حميد الطويل، عن أنس مرفوعا بحروفه.

وأخرجه الباغندي في (الأمالي) (١٢١٣)، والبزار (٦٦٣١- البحر)، قال: حدثنا محمد بن عبد الرحيم. والطبراني في (الكبير) (ج٢٣/رقم ٤١١)، قال: حدثنا محمد بن العباس المؤدب. وابن عدي في (الكامل) (٣٤٨/٥). وابن شاهين في (الترغيب) (٣٦٣) عن محمد بن عوف. والعقيلي في (الضعفاء) (١٧١/٤) قال: حدثنا محمد بن إسماعيل. وأبو الشيخ في (الطبقات) (١٠٥١) عن أبي بشر، وابن بشران في (الأمالي) (٧٣٤)، عن محمد بن سليمان، قالوا: ثنا عبيد بن إسحاق، ثنا سنان بن هارون، عن حميد الطويل، عن أنس، قال: قالت أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله المرأة منا يكون لها في الدنيا زوجان ثم تموت، فتدخل الجنة هي وزوجاها، لأيهما تكون للأول أو للآخر، قال: (تخير أحسنهما خُلقاً كان معها في الدنيا، فيكون زوجها في الجنة. يا أم حبيبة ذهب حُسن الخلق بخير الدنيا والآخرة). وهذا إسناد ضعيف جداً، وعبيد بن إسحاق متروك، وسنان بن هارون ضعيف. وليس عند البزار محل الشاهد.

وقال أبو حاتم الرازي - كما في (علل ولده) (١٢٥٢) -: (هذا حديث موضوع لا أصل له، وسنان عندنا مستور). وقد وقع حديث الترجمة في (علل ابن أبي حاتم) موقوفاً من قول أم حبيبة، ولا أدري كيف حدث ذلك فهو مرفوع من جميع طرقه. والله أعلم.

وله شاهد من حديث أم سلمة، أخرجه الطبراني في (الكبير) (٢٣/رقم ٨٠٧) وفي (الأوسط) (٣١٤١)، وابن عدي في (الكامل) (٢٦٢/٣)، والخطيب في (تاريخ بغداد) (٦ /١٧٢)، وابن

الجوزي في (الواهيات) (١١٦/٢)، عن بكر بن سهل، ثنا عمرو بن هاشم، ثنا سليمان بن أبي كريمة، عن هشام بن حسان، عن الحسن، عن أمه، عن أم سلمة بنحوه. وإسناده واهٍ، وبكر بن سهل ضعّفه النسائي، وسليمان بن أبي كريمة، ضعفه أبو حاتم وغيره.

وقال ابن عدي: هذا حديث منكر.

٢- وسئلت عن حديث: (إن في الجمعة ساعة من النهار لا يسأل العبد فيها شيئاً إلا أعطي سُؤْلَه) قالوا: أيّ ساعة؟ قال: (حين تقام الصلاة، إلى الانصراف منها).

قلت: هذا حديث منكرٌ.

أخرجه الترمذي (٤٩٠)، وابن عبد البر في (التمهيد) (٢٠/١٩ - ٢١)، عن أبي عامر العقدي. وابن ماجه (١١٣٨)، وابن أبي شيبة (١٥٠/٢)، وعبد بن حميد في (المنتحب) (٢٩١)، عن خالد بن مخلد القطواني.

والطبراني في (الكبير) (ج١٧/رقم ٧)، وابن قانع في (معجم الصحابة) (١٩٨/٢)، والبيهقي في (الشعب) (٢٩٨١) عن إسماعيل بن أبي أويس، كلهم عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف، عن أبيه، عن جده، مرفوعا به. وتابعهم محمد بن خالد على الإسناد، ولكن بلفظ: (الساعة التي ترجى يوم الجمعة من حين يخرج الإمام إلى أن يفرغ من الخطبة) أخرجه البزار (٣٣٨٨- البحر) قال: أخبرنا عمرو بن علي، قال: أخبرنا محمد بن خالد بهذا. وهذا الاختلاف في المتن عندي من محمد بن خالد بن عثمة، فهو لا بأس به، ولكن قال ابن حبان ربما أخطأ، وذكر البيهقي أن الدراوردي رواه عن كثير بن عبد الله بلفظ: (ما بين نزول الإمام عن المنبر إلى الانصراف. قال الترمذي: (حسن غريب).

قلت: وإسناده ضعيف جداً، وكثير بن عبد الله ضعفه ابن معين، وتركه الدارقطني، بل قال الشافعي: (ركن من أركان الكذب)، وقال ابن حبان: (منكر الحديث جدا، يروي عن أبيه عن جده نسخة موضوعة، لا يحل ذكرها في الكتب، ولا الرواية عنه إلا على جهة التعجب).

وقد روى مسلم (٨٥٣) عن أبي موسى الأشعري مرفوعا: (هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تُقضى الصلاة)، وأعله الدارقطني بالوقف.

وأصح الأقوال في ساعة الإجابة أنها بعد العصر إلى غروب الشمس من يوم الجمعة، وقد ثبت هذا في الأحاديث المرفوعة وعمل الصحابة، والله أعلم.

٣- وسُئلت: هل صح أن امرأة مات أبوها فلم تحضر جنازته طاعة لزوجها، فغفر الله لأبيها بطاعتها لزوجها.

قلت: قد ورد الحديث بذلك، ولكنه باطل.

أخرجه عبد بن حميد في (المنتخب) (١٣٦٩)، قال: حدثني يحيى بن عبد الحميد. والحارث بن أبي أسامة في (المسند) (٤٩٩ - زوائده) قال: حدثنا يزيد بن هارون. والحكيم الترمذي في (نوادر الأصول) (٧٩٠، ٧٩١)، قال: حدثنا إبراهيم بن سالم بن رشيد الهجيمي، وصالح بن عبد الله - فرّقهما -، وابن عدي في (الكامل (٢٦١١/٧) عن عمرو بن يزيد النيسابوري، قالوا: ثنا يوسف بن عطية، عن ثابت عن أنس، أن امرأة كانت تحت رجل فمرض أبوها، فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إن أبي مريض وزوجي يأبى أن يأذن لي أن أمرّضه، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: أطيعي زوجك، فمات أبوها، فاستأذنت زوجها أن تصلي عليه، فأبى زوجها أن يأذن لها في الصلاة عليه، فسألت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أطيعي زوجك، فأطاعت زوجها، ولم تصلِّ على أبيها، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: قد غفر الله لأبيك بطاعتك لزوجك.

قال ابن عدي: غير محفوظ.

قلت: هو باطل، ويوسف بن عطية متروك، ولا يحتمل ثابت مثل هذا الباطل.

نعم ! لم يتفرد به يوسف، فتابعه زافر بن سليمان، فرواه عن ثابت، عن أنس، أن رجلا خرج وأمر امرأته ألا تخرج من بيتها، وكان أبوها في أسفل الدار وكانت في أعلاها، فمرض أبوها..، وساق الحديث بمثله.

أخرجه الطبراني في (الأوسط) (٧٦٤٨)، قال: حدثنا محمد بن موسى، نا محمد بن سهل بن مخلد الاصطخري، نا عصمة بن المتوكل، حدثنا زافر بن سليمان بهذا قال الطبراني: (لم يرو هذا الحديث عن زافر بن سليمان إلا عصمة بن المتوكل)، وهذا منكر أيضا، وعصمة بن المتوكل ضعيف، وزافر كثير الأوهام. والله أعلم.

٤- وسُئلت عن حديث: (إن القبر ينادي ابن ادم إذا دُفن فيه يقول: أنا بيت الدود أنا بيت الظلمة).

قلت: هذا حديث ضعيف جدا.

أخرجه ابن أبي عاصم في (الآحاد والمثاني)

(٢٤١٢). والحكيم الترمذي في (نوادر الأصول) (٧٣٥)، والطبراني في (الكبير) (ج٢٢/رقم ٩٤٢)، وأبو نعيم في (معرفة الصحابة) (٦٧٤٨) عن محمد بن المصفى. وأبو يعلى (٦٨٧٠)، ومن طريقه ابن الأثير في (أسد الغابة) (٦٩/٦) قال: حدثنا أبو الربيع سليمان بن داود، وليس بالزهراني. وابن أبي الدنيا في (التواضع) (٢٣٥) - ووقع سقط في الإسناد- قال: حدثنا نصر بن عمار، قالوا: حدثنا بقية بن الوليد، ثنا أبو بكر بن أبي مريم، عن الهيثم بن مالك الطائي، عن عبد الرحمن بن عائذ الأزدي، عن أبي الحجاج الثمالي، مرفوعا: (يقول القبر للميت حين يُوضع فيه: ويحك يا ابن آدم ما غرك بي؟! ألم تعلم أني بيت الظلمة، وبيت الفتنة، وبيت الوحدة، وبيت الدود، ما غرك بي إذ كنت تمر عليَّ فدادا؟ فإن كان مصلحاً أجاب عنه مجيب القبر فيقول: أرأيت إن كان ممن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر؟ فيقول القبر: إني إذا أعود عليه خضرا، ويعود جسده نورا، وتصعد روحه إلى رب العالمين).

وعند ابن أبي عاصم وغيره، قال ابن عائذ: يا أبا الحجاج، ما الفداد؟ قال: الذي يقدم رجلاً، ويؤخر أخرى كمشيتك يا ابن أخي أحيانا. وهو يومئذ يلبس ويتهيأ.

وتوبع بقية. تابعه أبو اليمان الحكم بن نافع، فرواه عن أبي بكر بن أبي مريم بهذا الإسناد. أخرجه الطبراني في (مسند الشاميين) (١٤٩٩)، وعنه أبو نعيم في (الحلية) (٩٠/٦)، وفي (معرفة الصحابة) (٦٧٤٨)، قال: حدثنا أبو زرعة الدمشقي ثنا أبو اليمان بهذا. قال أبو نعيم: (غريب من حديث الهيثم بن مالك عن عبد الرحمن). وأبو الحجاج مختلف في صحبته.

قلت: وسنده ضعيف جداً، وأبو بكر بن أبي مريم ضعفه أحمد وابن معين والنسائي وأبو زرعة، وتركه الدارقطني، وقال ابن عدي: (الغالب على حديثه الغرائب، وقلما يوافقه الثقات).

٥- وسأل سائل: هل ورد أن الهمَّ هو أشد خلق الله. وفي رواية: أن أشد خلق الله الإنسان.

قلت: قد ورد الأول موقوفاً، ولم أره مرفوعاً، ولكنه لا يصح.

أما الهمُّ: فأخرج الطبراني في (الأوسط) (٩٠١) و وابن عساكر في (تاريخ دمشق) (٤٠١/٤٢) من طريق يحيى بن زكريا ابن أبي زائدة عن أبيه، عن الشعبي، عن الحارث الأعور، عن عليّ قال: أشد خلق ربك عشرة: (الجبال، والحديد ينحت الجبال، والنار تأكل الحديد، والماء يطفئ النار، والسحاب المسخر بين السماء والأرض يحمل الماء، والريح تقل السحاب، والإنسان يتقي الريح بيده، ويذهب فيها لحاجته، والسُّكر يغلب الإنسان، والنوم يغلب السكر، والهم يمنع النوم، فأشد خلق ربك الهم).

وهذا سند ضعيف جداً، والحارث الأعور متروك، وقد رواه الحكيم الترمذي في (نوادر الأصول) (١٤٢٦)، قال: حدثنا الجارود بن معاذ، قال: نا وكيع، عن زكريا ابن أبي زائدة، عن الشعبي، عن علي نحوه، فسقط ذكر: (الحارث الأعور) فيصير السند حينئذ منقطعاً.

أما أن الإنسان هو أشد خلق الله: فقد ورد فيه الحديث مرفوعا. أخرجه الترمذي (٣٣٦٩)، وأحمد (١٢٤/٣)، وعبد بن حميد في (المنتخب) (١٢١٥)، وأبو يعلى (٤٣١٠)، والحكيم الترمذي في (نوادر الأصول) (١٤٢٥)، وبحشل في (تاريخ واسط) (ص٦٢)، وأبو الشيخ في (العظمة) (٨٩٦)، والبيهقي في (الشعب) (٣٤٤١)، والخطيب في (المتفق والمفترق) (٦٢٥)، والأصبهاني في (الترغيب) (١٦٦١)، والضياء في (المختارة) (٢١٤٩، ٢١٥٠)، من طريق يزيد بن هارون. وأبو الشيخ في (العظمة) أيضاً (٨٧٢) عن هشيم بن بشير، كلهم عن العوام بن حوشب، عن سليمان بن أبي سليمان مولى ابن عباس، عن أنس بن مالك مرفوعا: (لما خلق الله الأرض جعلت تميد، فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت، فتعجبت الملائكة من خلق الجبال، فقالت: يا رب هل من خلقك شيء أشد من الجبال؟ قال: نعم، الحديد. فقالت: يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الحديد؟ قال: نعم، النار. قالت: يا رب فهل من خلقك شيء أشد من النار؟ قال: نعم، الماء. قالت: يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الماء؟ قال: نعم، الريح، قالت: يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الريح؟ قال: نعم، ابن آدم يتصدق بيمينه يخفيها من شماله. قال الترمذي: (هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه). وقال ابن منده: (هذا إسناد ثابت على رسم النسائي).

قلت: كذا قال! وآفته سليمان بن أبي سليمان، فقد قال فيه ابن معين: (لا أعرفه). وقال الذهبي: (لا يكاد يُعرف، روى عنه العوام بن حوشب وحده)، فمما يُستغرب أن يحسّن إسناده الحافظ في (الفتح) (١٤٧/٢). والأشبه أنه من قول قيس بن عباد كما أخرجه ابن جرير في (تفسيره) (٩٠/١٤)، وأبو الشيخ في (العظمة) (٨٧٣، ٩٠٤)، ورجال إسناده ثقات، والله أعلم.

الأمثال في القرآن

مثل ما ينفق الكافر في الدنيا

إعداد/ **مصطفى البصراتي**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

ففي هذا المقال نتحدث عن مثل آخر من الأمثال في القرآن وهو من سورة آل عمران، الآية السادسة عشر بعد المائة والسابعة عشر بعد المائة، قال الله تعالى: «إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ» [آل عمران: ١١٦- ١١٧].

المعنى الإجمالي:

قال ابن القيم في «الجامع لأمثال القرآن» (ص٩٠):

هذا مثل ضربه الله تعالى لمن أنفق ماله في غير طاعته ومرضاته، فشبَّه سبحانه ما ينفقه هؤلاء من أموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر لا يبغون به وجه الله، وما ينفقونه ليصدوا به عن سبيل الله واتباع رسله عليهم الصلاة والسلام؛ بالزرع الذي زرعه صاحبه يرجو نفعه وخيره فأصابته ريح شديدة البرد جدًا يهلك بردها ما يمر عليه من الزرع والثمار، فأهلكت ذلك الزرع وأيبسته.

المعنى المفصل:

قوله تعالى: «إن الذين كفروا» قال ابن عثيمين في تفسير آل عمران ٢/٨٦: «إن الذين كفروا» يشمل كل من كفر بالله من يهودي أو نصراني أو شيوعي أو دهري أو مسلم ارتد، المهم أن كل من كفر بالله فهذا حكمه.

فائدة (مستفادة من شرح ابن عثيمين): والكفر ذَكَر أهل العلم أنه قسمان: كفر مخرج عن الملة، وكفر غير مخرج عن الملة، وعليه يتنزل قول ابن عباس في قوله: «وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ» [المائدة: ٤٤]، قال: كفر دون كفر، ومن أمثلة هذا النوع أعني الذي لا يُخرج من الملة قول النبي صلى الله عليه وسلم: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر» رواه البخاري ومسلم.

فإن قتال المسلم ليس بكفر أي: ليس بكفر مخرج عن الملة ولكنه كفر دون كفر؛ لأنه لا أحد يقدم على قتل المسلم إلا الكافر، فإذا أقدم المسلم على قتل أخيه المسلم فقد أتى بخصلة من خصال الكفر، والدليل على أن قتال المسلم ليس بكفر مخرج من الملة قوله تعالى: «وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ» [الحجرات: ٩]، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت». [رواه مسلم]. ولها أمثلة. المهم أن هذا كفر أصغر لا يُخرج من الإسلام، وأما الكفر الأكبر فهو الكفر الذي يُخرج من الإسلام مثل قوله تعالى: «مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ

بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا» [النحل:١٠٦].

وقال ابن عطية: وقال البغوي (في معالم التنزيل ١/٢٦٩): في قوله: «لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا» [آل عمران :١٠] أي: لا تدفع أموالهم بالفدية وأولادهم بالنصرة من الله شيئا، أي: من عذاب الله، وخصهما بالذكر لأن الإنسان يدفع عن نفسه تارة بفداء المال وتارة الاستعانة بالأولاد.

«أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ» [الأعراف:٣٦] وإنما جعلهم من أصحابها لأنهم أهلها لا يخرجون منها ولا يفارقونها، كصاحب الرجل لا يفارقه. اهـ. البغوي.

فـ «أصحاب النار» أي: أهلها الملازمون لها، «وهم فيها خالدون» أي: ماكثون. نسأل الله السلامة.

قوله: «مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ» [آل عمران: ١١٧].

قال ابن عثيمين رحمه الله: «هذا تشبيه تمثيلي، بمعنى أن تشبَه الهيئة بالهيئة، يكون المشبه شيئا مؤلفا من عدة أمور، والمشبه به كذلك يكون شيئا مؤلفا من عدة أمور، فيسمى عند البلاغيين تشبيها تمثيليًا.

«كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ» الصورة الآن: ريح شديدة فيها برودة عظيمة ولها صرير من شدتها أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم، فالتشبيه مركب الآن من ريح شديدة باردة أصابت حرث قوم يعني: زرعهم.

وقوله: «كمثل ريح» قال الطاهر ابن عاشور في «التحرير والتنوير» (٢/٨٥) هو من آيات الخالق وعظيم قدرته؛ لأن هبوب الريح وركودها آية، واختلاف مهابّها آية، فلولا الصانع الحكيم الذي أودع أسرار الكائنات لما هبت الريح أو لما ركدت، ولما اختلفت مهابها، بل دامت من جهة واحدة، وهذا موضع العبرة. اهـ

«فيها صرٌ»: قال ابن عطية: الصِّرُّ: البرد الشديد المحرق لكل ما يهب عليه، وهو معروف، قال ابن عباس وجمهور المفسرين: الصرُّ: البرد، وذهب الزجاج وغيره إلى أن اللفظة من التصرير من قولهم: صرَّ الشيء، ومنه الريح الصرصر، قال الزجاج: فالصرَّ: صوت النار التي فيها الريح. اهـ.

قوله: «أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ»: تنبه على أن سبب إصابتها لحرثهم هو ظلمهم فهو الذي سلط عليهم الريح المذكورة حتى أهلكت زرعهم وأيبسته ، فظلمهم هو الريح التي أهلكت أعمالهم ونفقاتهم. [انظر: تهذيب التفسير وتجريد التأويل ٣/٤٥-٤٨].

«الحرث» قال الطاهر ابن عاشور: والحرث أصله مصدر حرث الأرض إذا شقَّها بآلة ليزرع فيها أو يغرس، وأطلق هذا المصدر على المحروث فصار يطلق على الجنات والحوائط وحقول الزرع.

«ظلموا أنفسهم» أي: استحقوا أن يعذبهم الله عز وجل بهذه الريح فأهلكته، فإذا هبت الريح العاصفة الباردة القوية انتقامًا من بني آدم فإنها سوف تُهلك هذا الحرث.

ووجه الشبه ظاهر؛ لأنهم سلطوا على أموالهم تسليطا عظيمًا لكن لم ينتفعوا بهذا التسليط، وضاعت هباءً كما قال الله تعالى: « إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ» [الأنفال: ٣٦].

هذه حال الكفار إذا أنفقوا أموالهم لن ينتفعوا بها إطلاقا، كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته.

قوله: «وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون» قال في التحرير والتنوير: الضمائر فيه عائدة على الذين كفروا، والمعنى أن الله لم يظلمهم حين لم يتقبل نفقاتهم، بل هم تسببوا في ذلك؛ إذ لم يؤمنوا لأن الإيمان جعله الله شرطا في قبول الأعمال، فلما أعلمهم بذلك وأنذرهم لم يكن عقابه بعد ذلك ظلمًا لهم، وفيه إيذان بأن الله لا يخلف وعد من نفى الظلم عن نفسه.

وهكذا يتقرر: أن لا جزاء على بذل، وأن لا قيمة لعمل إلا أن يرتبط بمنهج الله، وإلا أن يكون باعثه الإيمان بالله سبحانه وتعالى.

من فوائد هاتين الآيتين الكريمتين [مستفادة من تفسير ابن عثمين ٢/٩٠]:

١ . بيان أن الكفار مهما بلغوا في القوة عدداً ومدداً فإن قوتهم لن تغنيهم من الله شيئا، عدداً لقوله: «أولاد» ومدداً لقوله: «أموال»، مهما كثرت قوتهم عدداً ومدداً فإنها لن تغني عنهم من الله شيئا.

٢ . تمام قدرة الله وسلطته على العباد حيث إن الكفار العتاة لا يستطيعون أن يدفعوا شيئا بأموالهم وأولادهم مما قضاه الله عزّ وجل. فإن قال

قائل: مفهوم الآية أن المؤمنين تغني عنهم أموالهم وأولادهم من الله شيئا، قلنا: هذا غير مراد؛ لأن الآية سيقت في الرد على الكفار الذين يفتخرون بأموالهم وأولادهم، فبيّن الله أن أموالهم وأولادهم لا تغني عنهم من الله شيئا، أما المؤمنون فقد قال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ» [المنافقون: ٩]، ولا أحد ينفعه ماله وولده إلا أن يكون عونا له على طاعة الله.

٣. أن الكفار في النار؛ لقوله تعالى: «وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ».

٤. أنهم مخلدون فيها؛ لقوله: «هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ»، والجملة اسمية تدل على الدوام والثبوت، فإن قال قائل: هل هذا الخلود أبدي أم له غاية؟

فالجواب: أنه أبدي وليس له غاية، ودليل ذلك في كتاب الله في ثلاث آيات منه في النساء والأحزاب والجن، ففي النساء يقول الله تعالى: «إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا» [النساء: ١٦٨، ١٦٩] وفي سورة الأحزاب يقول تعالى: «إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا» [الأحزاب: ٦٤، ٦٥]، وفي سورة الجن: «وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا» [الجن: ٢٣]، وليس بعد هذه الآيات قول يُقال، بل لو قاله قائل فقوله مردود عليه؛ لأن هذا أمر غيبي لا يُعلم إلا من قبل الشرع والوحي، والوحي كما ترون نزل بأنهم خالدون فيها أبدا، وإذا جاء النص فلا قياس، فمن ادّعى أنهم يخلدون فيها إلى أمد فإنه لولا تأويله لكان أمره خطيرا جدا، لكنه تأوّل واشتبهت عليه بعض الآيات، لأن ظاهر هذا القول تكذيب القرآن، والأمر خطير جدا، ولكنه صدر من أناس نعلم نصحهم لكتاب الله ولسنة نبيه ولأئمة المسلمين وعامتهم على وجه تأولوا فيه، والله يغفر لهم تأويلهم، لكن بالنسبة للعقيدة التي بين الإنسان وبين ربه إذا تبين له خطأ عالم من العلماء وجب عليه مخالفته، أمّا بالنسبة للعالم فنرجو له المغفرة والرحمة إذا علم بالنصح للأمة لأنه غير معصوم، والعصمة في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

٥. إثبات القياس؛ لقوله: «مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ»، ووجه ذلك: أن المثل إلحاق للأصل بالفرع، إلحاق للمشبه بالمشبه به، وهذا هو أصل القياس، إلحاق فرع بأصل في حكم لعلة جامعة، فكل مثال ضربه الله في القرآن ففيه دليل على القياس إذ إنه إلحاق المشبه بالمشبه به، وعليه يكون في هذه الآية إثبات القياس.

٦. حسن أو تمام بلاغة القرآن، وذلك بقياس الغائب على الشاهد، ووجهه أن الريح التي فيها صرّ وأصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم كل يعرف أنها مدمرة ومهلكة، فكذلك أعمال الكافرين هالكة لا خير فيها؛ لأن الكفر مدمر لها، «وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ» [التوبة: ٥٤].

٧. أن الكافر لن ينتفع بما عمل في الآخرة، ووجهه أنه إذا هلك ما عمله وزال فإنه لن ينفعه لكن قد ينفعه في الدنيا، فيدفع الله عنه به من البلاء ما يدفع، أو يحصل من الخير الذي يرجوه ما يحصل بسبب الإنفاق الذي أنفقه من ماله.

٨. انتفاء الظلم عن الله؛ لقوله: «وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ».

٩. إثبات أن الله تعالى موصوف بالنفي كما هو موصوف بالإثبات. وصف الله بالإثبات كثير في القرآن، ووصفه بالنفي أقل لكنه موجود، هذا النفي الذي وصف الله به نفسه هل هو نفي محض مجرد؟ لا، بل هو نفي متضمن لثبوت، وهو كمال ضد ذلك الشيء، فإذا قال الله عن نفسه: «وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ» [فصلت: ٤٦] قلنا: لكمال عدله. وإذا قال: «وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ» [البقرة: ١٤٤] قلنا: لكمال مراقبته. وإذا قال: «وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ» [ق: ٣٨] قلنا: لكمال قوته وقدرته، وهلمّ جرا، لا يمكن أن يوجد في صفات الله نفي محض بل هو نفي متضمن لثبوت ضده على وجه الكمال، يقول العلماء رحمهم الله: ولا بد من هذا التقدير إثبات كمال الضد؛ لأن مجرد النفي إن كان لعدم القابلية فلا مدح فيه، وإن كان للعجز المنفي فهو نقص.

لو قلنا: إن الله لا يظلم لأنه لا يستطيع أن يظلم، لا شك أنه نقص، إذن فالقاعدة فيما وصف الله به من النفي أنه ليس نفيا محضا بل هو متضمن لإثبات الكمال، الكمال ضد ذلك المنفي.

١٠. أن نفس الإنسان عنده أمانة يلحقها ظلمُه وغشمُه، ويلحقها بره وإحسانه، فيجب أن يرعى هذه الأمانة حقها، وإذا كان يجب على الإنسان أن يرعى الأمانة في ولده وأهله ففي نفسه من باب أولى، ولهذا قال تعالى: « تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ» [البقرة: ١٩٥] هذه وصية منه تعالى لنا بأنفسنا وقال: «يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ» [النساء: ١١] فأوصانا الله بأولادنا وصية منه لنا بأولادنا، والولد بضعة من أبيه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

صلى الله عليه وسلم

نظرات في سيرة الرسول

الإسلام دينٌ وَسَط

إعداد/ جمال عبد الرحمن

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ وبعد:

فإن الله تعالى ميز هذه الأمة (أمة الإسلام) بالوسطية بين الأمم فقال سبحانه «وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا» [البقرة: ١٤٣]، والوسطية هنا تعني: العدل والخيار وسائر أنواع الفضل، فهي أفضل الأمم.

ثم ميز الله أهل السنة والجماعة بالوسطية بين فرق المسلمين، فقال صلى الله عليه وسلم «لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ...» الحديث.(صحيح مسلم ١٥٦).

فأهل السنة هم في جملتهم (العدول الخيار) أهل التوسط والاعتدال في كل أمور الدين: عقيدة وعلمًا وعملاً وأخلاقًا ومواقف. وسط بين الغلو والتقصير وبين التفريط والإفراط في سائر الأمور.

والاعتدال هو: الاستقامة والتزكية، والتوسط والخيرية.

وقد فسر الرسول صلى الله عليه وسلم الوسطية بقوله: (والوسط: العدل)، كما في الحديث: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى، هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ نَعَمْ أَيْ رَبِّ، فَيَقُولُ لأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ لاَ مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيٍّ، فَيَقُولُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم وَأُمَّتُهُ، فَنَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ، وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَالوَسَطُ العَدْلُ ".[صحيح البخاري ٤/١٣٤].

ولا يتحقق الاعتدال في الاعتقاد والعمل والعلم والدعوة وغيرهما إلا بالتزام الكتاب والسنة وسبيل المؤمنين.

والوسطية ضد الغلو: وهو مجاوزة الحد. قال تعالى: «لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ» [النساء: ١٧١] وقال صلى الله عليه وسلم: «إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ».

فالوسطية تعني ترك المغالاة،ولأن أمة الإسلام أمة وسط نهاهم الله تعالى عن الغلو في كل شيء في الدين والحكم بين الناس، فأمر بالعدل، قال الله تبارك وتعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ» [المائدة: ٨].

والآية دليل على أن يعدل المؤمنون مع الناس

ولو كانوا أعداءً، ولا تكون الكراهية لأحد مانعاً من تحري العدل معه. هذا، ونسأل الله أن يجعلنا من أهل الحق والعدل والاستقامة، وأن يجمع كلمة المسلمين على الحق والهدى، ويقيهم شر الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وإن أمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم للأمَّة الوسط بكل معاني الوسط، سواء من الوساطة بمعنى الحسن والفضل، أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد، أو من الوسط بمعناه المادي والحسيّ.

ولاتـزال أمَّـةً وسطًا في التصوّر والاعتقاد، أمَّةً وسطًا في التَّفكير والشُّعور، أمَّةً وسطًا في التَّنظيم والتَّنسيق، أمة وسطًا في الارتباطات والعلاقات، أمَّةً وسطًا في الزَّمان، أمَّةً وسطًا في المكان، وما يعوق هذه الأمة اليوم عن أن تأخذ مكانها هذا الذي وهبه الله لها، إلا أنها تخلَّت عن منهج الله الذي اختاره لها، واتَّخذت لها مناهج مختلفة، ليست هي التي اختارها الله لها.

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد أهل العدل والوسطية، ومعلم الناس ألا إفراط ولا تفريط في الشريعة الحنيفية، وكانت سيرته صلى الله عليه وسلم حافلة بالمواقف العظيمة في كافة النواحي التي يُرى فيها العدل والاستقامة، والرحمة والتوسط والخيرية.

- قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى: لما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة الخندق راجعاً إلى المدينة أتاه جبريل فقال: إن الله يأمرك أن تسير إلى بني قريظة، فأمر بلالاً فأذن في الناس: من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة. وعن عبيد الله بن كعب، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من طلب الأحزاب وضع عنه اللأمة (درع يلبسها المقاتل في الحرب)، واغتسل، واستجمر (تعطر) فتَبَدَّى (ظهر) له جبريل، فقال: عذيرك من محارب (أي مَن يعذرك أيها المحارب لخلعك ثياب الحرب)، ألا أراك قد وضعت اللأمة وما وضعناها بعد، قال: فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم فزعاً، فعزم على الناس أن لا يصلوا العصر حتى يأتوا بني قريظة، قال: فلبس الناس السلاح، فلم يأتوا بني قريظة حتى غربت الشمس قال: فاختصموا عند غروب الشمس، فصلت طائفة العصر، وتركتها طائفة، وقالت: إنا في عزيمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس علينا إثم، فلم يعنف واحداً من الفريقين. أخرجه الطبراني ١٩/ "١٦٠"، البيهقي في "الدلائل" ٤/٧ بإسناد صحيح إلى الزهري. وفيه "فصلت طائفة إيماناً واحتساباً، وتركت طائفة إيماناً واحتساباً".[صحيح ابن حبان - محققا ١١/ ٢٠].

وأصل القصة عند البخاري: عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لنَا لَمَّا رَجَعَ مِنَ الأَحْزَابِ: «لاَ يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ العَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ» فَأَدْرَكَ بَعْضَهُمُ العَصْرُ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي، لَمْ يُرِدْ مِنَّا ذَلِكَ، فَذُكِرَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ. [صحيح البخاري ٢/١٥].

قال ابن حجر رحمه الله تعالى: وفي هَذَا الْحَدِيثِ مِنَ الْفِقْهِ أَنَّهُ لَا يُعَابُ عَلَى مَنْ أَخَذَ بِظَاهِرِ حَدِيثٍ أَوْ آيَةٍ وَلَا عَلَى مَنِ اسْتَنْبَطَ مِنَ النَّصِّ مَعْنًى يُخَصِّصُهُ، وَفِيهِ أَنَّ كُلَّ مُخْتَلِفَيْنِ فِي الْفُرُوعِ مِنَ الْمُجْتَهِدِينَ مُصِيبٌ، قَالَ السُّهَيْلِيُّ: وَلَا يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ صَوَابًا فِي حَقِّ إِنْسَانٍ وَخَطَأً فِي حَقِّ غَيْرِهِ وَإِنَّمَا الْمُحَالُ أَنْ يُحْكَمَ فِي النَّازِلَةِ بِحُكْمَيْنِ مُتَضَادَّيْنِ فِي حَقِّ شَخْصٍ وَاحِدٍ. قَالَ: فَكُلُّ مُجْتَهِدٍ وَافَقَ اجْتِهَادُهُ وَجْهًا مِنَ التَّأْوِيلِ فَهُوَ مُصِيبٌ انْتَهَى... وَنَقَلَ عَنِ الْأَشْعَرِيِّ أَنَّ كُلَّ مُجْتَهِدٍ مُصِيبٌ، وَأَنَّ حُكْمَ اللَّهِ تَابِعٌ لِظَنِّ الْمُجْتَهِدِ، وَقَالَ بَعْضُ الْحَنَفِيَّةِ وَبَعْضُ الشَّافِعِيَّةِ: هُوَ مُصِيبٌ بِاجْتِهَادِهِ، وَإِنْ لَمْ يُصِبْ مَا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ فَهُوَ مُخْطِئٌ وَلَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ. [فتح الباري لابن حجر ٧/٤٠٩]

وقال النووي رحمه الله تعالى: وَلَا خلاف في ترك تعنيف الْمُجْتَهِد وَإِن أَخطَأ إِذا بذل وسعه، قَالَ: فَأخذ بعض الصَّحَابَة بِهَذَا الْمَفْهُوم (وهو عدم تأخير الصلاة عن وقتها) نظرًا إِلَى الْمَعْنى لَا إِلَى اللَّفْظ، فصلوا حِين خَافُوا فَوَات الْوَقْت، وَأخذ آخَرُونَ بِظَاهِر اللَّفْظ وَحَقِيقَته، (فأخروا الصلاة لحين الوصول إلى بني قريظة). وَلم يعنف الشَّارِع وَاحِدًا مِنْهُمَا، لأنهم مجتهدون، فَفِيهِ دَلِيل لمن يَقُول بِالْمَفْهُومِ وَالْقِيَاس ومراعاة الْمَعْنى (روح النص) وَكَذَلِكَ لمن يَقُول بالظاهر أَيْضا. وَقَالَ الدَّاودِيّ: فِيهِ أَن المتأول إِذا لم يُبْعِد فِي التَّأْوِيل لَيْسَ بمخطئ، وَأَن السُّكُوت على فعل أَمر كالقَول بإجازته.[عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٦/٢٦٥].

ومن موقف الرسول صلى الله عليه وسلم بإزاء الفريقين من قبول اجتهاديهما دون أن يفصح عن

قصده لهم، يظهر العدل والإنصاف والوسطية والرحمة بالمجتهدين، وليكون فعله قدوة لأتباعه أن يكونوا أهل رفق بالمخالفين، حتى لا يفرح كل حزب بما لديه، ويتعصب كل فريق للذي هو عليه، محاولا حَمْل خصمه على ما يراه، وإخضاعه بين يديه. فما أجمل الإسلام وما أعظم وسطية هذا الدين.

تطبيق الصحابة رضوان الله عليهم لهذا المنهج الوسطي العجيب:

وحتى نتلمس أدب الاختلاف بين الصحابة رضوان الله عليهم عند القضايا الخلافية، نقول:

كان ابن عباس رضي الله عنهما يذهب كالصدّيق وكثير من الصحابة إلى أن الجد يسقط جميع الإخوة والأخوات في المواريث كالأب، وكان زيد بن ثابت كعلي وابن مسعود وفريق آخر من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يذهب إلى توريث الإخوة مع الجد ولا يحجبهم به، فقال ابن عباس يوما: ألا يتقي الله زيد، يجعل ابن الابن ابنا ولا يجعل أب الأب أبا!؟

إن ابن عباس رضي الله عنهما الذي بلغت ثقته بصحة اجتهاده وخطأ اجتهاد زيد هذا الحد الذي رأيناه، رأى زيد بن ثابت يوما يركب دابته فأخذ بركابه يقود به، فقال زيد: تنحّ يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم. فيقول ابن عباس: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا. فقال زيد: أرني يدك. فأخرج ابن عباس يده، فقبّلها زيد، وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا. وحين توفي زيد قال ابن عباس: «هكذا يذهب العلم». وفي رواية البيهقي في سننه الكبرى «هكذا ذهاب العلم، لقد دفن اليوم علم كثير». [أدب الاختلاف في الإسلام لطه جابر العلواني ص: ٦٦].

ويسأل بعضهم أمير المؤمنين عليًا عن «أهل الجمل» أمشركون هم؟ فيقول رضي الله عنه: من الشرك فرّوا. قال: أمنافقون هم؟ فيقول رضي الله عنه: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا. فقال: فمن هم إذن؟ فيقول رضي الله عنه: إخواننا بغوا علينا. [البيهقي في السنن ١٧٣/٨].

- وصلى الرشيد إماما وقد احتجم، فصلى الإمام أبو يوسف خلفه ولم يعد الصلاة مع أن الحجامة عنده تنقض الوضوء. وكان الإمام أحمد بن حنبل يرى الوضوء من الرعاف والحجامة فقيل له: فإن كان الإمام قد خرج منه الدم ولم يتوضأ هل يصلى خلفه؟ فقال: «كيف لا أصلي خلف الإمام مالك وسعيد بن المسيب»، وكانا لا يريان الوضوء من خروج الدم.

وصلى الشافعي رحمه الله الصبح قريبا من مقبرة أبي حنيفة رحمه الله فلم يقنت، والقنوت عنده سنة مؤكدة فقيل له في ذلك، فقال: «أخالفه وأنا في حضرته؟!». [أدب الاختلاف في الإسلام ص: ١١٧]

ونستعين بالله سبحانه الآن في سرد مواضع متعددة في جوانب كثيرة من هذه الشريعة الغراء؛ تظهر فيها وسطية هذا الدين العظيم.

١- الوسطية في كيفية الدعاء:

نهى الله سبحانه عن الغلو في دعائه عز وجل، مع أن «الدعاء هو العبادة»، حيث أمر بالتوسط فيه دون الجهر وفوق المخافتة، فقال الله تبارك وتعالى: «قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا» [الإسراء: ١١٠]. أي: لا تجهر بدعائك ولا تخفض الصوت كالصامت.

٢- الوسطية بين الدين والدنيا:

وقال أيضا جل وعلا: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» [الجمعة: ٩،١٠]. ففي الآيتين أمران: أمر ديني "فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ"، وأمر دنيوي: "فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ". والاثنان من منهج الله تعالى. ولا تستقيم الأمور بالجلوس في المسجد وترك العمل، ولا بالعمل المستمر وترك الصلاة.

٣- الوسطية في الإنفاق:

كما نهى جل وعلا عن الغلو في النفقة بالمال، حيث يقول تبارك وتعالى: «وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا» [الفرقان: ٦٧]، وقوله تبارك وتعالى: «وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا» [الإسراء: ٢٩].

وقال تعالى: «وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ» [الأعراف: ٣١]

والدين كله بين هذين الطرفين.

٤- الوسطية في أداء العبادات

١- عَنْ أَنَس بْنِ مَالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: «جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا. فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا

تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه وَمَا تَأَخَّرَ. قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا. وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ. وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا. فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي». صحيح البخاري. وقوله: من رغب عن سنتي أي عن طريقتي ومنهجي.

فالرسول صلى الله عليه وسلم بين أن التشدد في العبادة ليس من سنته؛ فإذا كان التشدد في العبادة ليس من سنته، فمن باب أولى التشدد والمبالغة والغلو في الأمور الأخرى.

ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التنطع وبين أنه طريق هلاك

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ. هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ. هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» البخاري.

والمتنطعون هم المتعمقون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم.

وقال صلى الله عليه وسلم: "إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين" صحيح البخاري عن ابن عباس.

وذكر الشرع أن الغلو في التعبد من سمات طائفة تمرق من الدين كما يمرق السهم من الرمية. وهم الخوارج.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْمًا أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ! فَقَالَ: وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ. فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ! فَقَالَ: دَعْهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ.

فهؤلاء غلوا في العبادات حتى تعدى كبيرهم على مقام النبوة ، ولا يأتي الغلو الا بكل شر .

وللحديث بقيه إن شاء الله.

مدارس رياض المعرفة الأهلية للبنين بالدمام

تعلن

عن حاجتها لمعلمين «ابتدائى - متوسط» فى التخصصات التالية:

معلم فصل أول ثانى ثالث

معلمون

(لغة عربية - رياضيات - علوم - انجليزى - حاسب آلى
تربية فنية - تربية بدنية - وكلاء ومشرفون تربويون)

ترسل السيرة الذاتية وصورة شخصية حديثة علي الإيميل : aboasem1963@yahoo.com

للتواصل والاستفسار : ٠١١٢٤٤٠٠٣٧٠

شركة الأماني لإلحاق العمالة المصرية بالخارج

تحذير الداعية من القصص الواهية

قصة الصحابي قبيصة بن مخارق الهلالي والوقاية من الأربع بلايا

الحلقة
(١٦٣)

إعداد/ علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية حتى يقف القارئ الكريم على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على السنة الوعاظ والقصاص، وكذلك المتصوفة؛ حيث جعلوها في اذكارهم وأورادهم، وغرهم ان القصة ذُكرت في بعض مصادر الحديث الاصلية عند اهل السنة مما يُحتِّم علينا تخريجها وتحقيقها.

أولا: المتن:

رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ أَقْبَلَ شَيْخٌ يُقَالُ لَهُ قَبِيصَةُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَا جَاءَ بِكَ، وَقَدْ كَبِرَتْ سِنُّكَ، وَرَقَّ عَظْمُكَ؟ ! » فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَبِرَتْ سِنِّي، وَدَقَّ عَظْمِي، وَضَعُفَتْ قُوَّتِي، وَاقْتَرَبَ أَجَلِي. فَقَالَ: « أَعِدْ عَلَيَّ قَوْلَكَ ». فَأَعَادَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَا بَقِيَ حَوْلَكَ شَجَرٌ، وَلا حَجَرٌ، وَلا مَدَرٌ، إِلا بَكَى رَحْمَةً لِقَوْلِكَ، فَهَاتِ حَاجَتَكَ، فَقَدْ وَجَبَ حَقُّكَ ». فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلِّمْنِي شَيْئًا يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَلا تُكْثِرْ عَلَيَّ؛ فَإِنِّي شَيْخٌ نَسِيٌّ. قَالَ: « أَمَّا لِدُنْيَاكَ، فَإِذَا صَلَّيْتَ الصُّبْحَ فَقُلْ بَعْدَ صَلاةِ الصُّبْحِ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ، يَقِيكَ اللَّهُ مِنْ بَلايَا أَرْبَعٍ: مِنَ الْجُذَامِ، وَالْجُنُونِ، وَالْعَمَى، وَالْفَالِجِ. فَأَمَّا لآخِرَتِكَ، فَقُلِ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي مِنْ عِنْدِكَ، وَأَفِضْ عَلَيَّ مِنْ فَضْلِكَ، وَانْشُرْ عَلَيَّ مِنْ رَحْمَتِكَ، وَأَنْزِلْ عَلَيَّ مِنْ بَرَكَاتِكَ ». فَقَالَهَا الشَّيْخُ، وَعَقَدَ أَصَابِعَهُ الأَرْبَعَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ: خَالُكَ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَشَدَّ مَا ضَمَّ عَلَى أَصَابِعِهِ الأَرْبَعِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَئِنْ وَفَّى بِهِنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمْ يَدَعْهُنَّ، لَيُفْتَحَنَّ لَهُ أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ مِنَ الْجَنَّةِ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ».

ثانيا: التخريج:

الخبر الذي جاءت به هذه القصة أخرجه الحافظ أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق الدينوري المعروف بابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ح١٣٣) قال: حدثنا محمد بن هارون الحضرمي، حدثنا رزق الله بن سلام المروزي، ثنا محمد بن خالد الحبطي، حدثنا عبد الله بن العلاء البصري، عن نافع عبد الله السلمي، عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل شيخ يقال له قبيصة... الحديث.

وأخرجه الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٦٨/١٨)... (٩٤٠) قال: حدثنا جعفر بن محمد بن حرب، حدثنا أبو ظفر عبد السلام بن مظهر، حدثنا نافع بن عبد الله أبو هرمز قال: سمعت عطاء بن أبي رباح، يحدث عن

ابن عباس قال: قدم قبيصة بن مخارق الهلالي... الحديث.

ثالثًا: التحقيق:

هذه القصة واهية؛ علتها: نافع بن عبد الله السلمي... وعند التدبر في الإسناد عند الحافظ ابن السني في «عمل اليوم والليلة»، وعند الحافظ الطبراني في «المعجم الكبير» تستبين العلة بما عند الطبراني من الكنية: ليكون الراوي الذي هو علة القصة: نافع بن عبد الله السلمي أبو هرمز.

قال الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٤٨/٧) (١٩٨١/٢٨):.. نافع السلمي أبو هرمز بصري، سمعت أبا يعلى يقول: سألت يحيى بن معين عن نافع أبي هرمز فقال: «ليس بشيء».

وقال: حدثنا ابن أبي مريم سألت يحيى بن معين عن أبي هرمز فقال: ليس بثقة كذاب. أخبرنا عمران السختياني عن شيبان، عن نافع، أبي هرمز، عن عطاء عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث، وأخرج له أحاديث مناكير، ثم قال: «ولنافع أبي هرمز غير ما ذكرت، وعامة ما يرويه غير محفوظ، والضعف في روايته بيِّن».

قال الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٥٧/٣): «نافع أبو هرمز الجمال مولى بني سليمان، روى عن عطاء عن ابن عباس نسخة موضوعة».

قال الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٤٥٥/٨، ٢٠٨٧): «سألت أبي عن نافع أبي هرمز فقال: متروك الحديث ذاهب الحديث».

وسألت أبا زرعة عن نافع أبي هرمز فقلت: ضعيف الحديث؟ فقال: «كما يكون هو ذاهب».

٤- ذكره الدارقطني في «الضعفاء والمتروكين» (٥٤٩) قال: «نافع أبو هرمز، بصري عن أنس وعطاء».

قلت: قد يتوهم البعض من هذه العبارة التي اقتصرت على ذكر الاسم فقط دون ذكر لصفة الجرح أن نافع أبا هرمز سكتوا عنه ولم يبينوا حاله، ولكن ليس كذلك، فبمجرد إثبات الاسم يدل على الضعف الشديد، فمنهج الدارقطني في «الضعفاء والمتروكين» (ص٤٣) بينه الإمام البرقاني حيث قال: «طالت محاورتي مع أبي منصور إبراهيم بن الحسين بن حمكان لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني عفا الله عني وعنهما في المتروكين من أصحاب الحديث، فتقرر بيننا وبينه على ترك من أثبته على حروف المعجم في هذه الورقات». اهـ.

قلت: بهذا يتبين أن مجرد إثبات اسم نافع أبي هرمز في كتاب الضعفاء والمتروكين أن الأئمة الثلاثة: الإمام البرقاني، والإمام ابن حمكان والإمام الدارقطني اتفقوا فيما بينهم على ترك نافع أبي هرمز.

٥- قال الإمام الحافظ الذهبي في «الميزان» (٩٠٠٠/٢٣٤/٤): «نافع أبو هرمز ضعفه أحمد وجماعة وكذَّبه ابن معين، وقال أبو حاتم: متروك ذاهب الحديث، وقال النسائي ليس بثقة».

قلت: بهذا التحقيق يتبين أن نافع أبا هرمز: «ليس بشيء، متروك، ليس بثقة، كذاب، ذاهب الحديث، عامة ما يرويه غير محفوظ».

فائدة:

هذا التحليل مهم جدًّا لأن الخبر الذي جاءت بهذه القصة أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» كما بينا آنفًا، وبما أن هذا الخبر لم يخرجه أصحاب الكتب الستة: إذن هذا الخبر الذي جاءت به القصة يجده الباحث في «مجمع الفوائد» للحافظ علي بن أبي بكر الهيثمي؛ حيث إن الحافظ الهيثمي جمع زوائد مسند الإمام أحمد وأبي يعلى الموصلي، وأبي بكر البزار، ومعاجم

الطبراني الثلاثة على الكتب الستة، ثم يقوم الحافظ الهيثمي بعزو الخبر إلى هذه الكتب ثم يحققه بعبارة مختصرة بذكر الراوي، وإذا كان مجروحًا غالب عباراته يقول: «ضعيف».

وبالتطبيق على الخبر الذي جاءت به هذه القصة نجد أن الحافظ الهيثمي أورد هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة في «مجمع الزوائد» (١٠/٦٥) وقال: «رواه الطبراني وفيه نافع أبو هرمز وهو ضعيف». اهـ.

قلت: قد يتوهم البعض أنه ضعف يسير ينجبر بكثرة الطرق، وكم زلت بسببه أقدام وضلت فيه أفهام!!

والأمر ليس كذلك، وما قدمناه آنفًا من أقوال جهابذة الجرح والتعديل في نافع أبي هرمز برهان على ذلك.

حيث إن نافعًا أبا هرمز: ليس بشيء، متروك، ليس بثقة، كذاب، ذاهب الحديث كما هو مقرر عند علماء هذا الفن لا يصلح للمتابعات ولا الشواهد، بل يزيد الخبر وهنًا على وهن.

وهذا البيان مهم جدًا، حيث إن لهذا الخبر طرقًا، ولولا أن بينا حال نافع أبي هرمز لتوهم مَن لا دراية له أنه متابع أو له شاهد.

رابعًا: طريق آخر للقصة:

أخرجه الحافظ ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ح١٣٤) قال: الطبراني عبد الرحمن بن حمدان، حدثنا هِلَالُ بْنُ الْعَلَاءِ، قَالَ: ثَنَا أَبِي، قَالَ: ثَنَا هِلَالُ بْنُ عُمَرَ، ثَنَا الْخَلِيلُ بْنُ مُرَّةَ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ: جَاءَ النَّبِيَّ رَجُلٌ مِنْ أَخْوَالِه يُقَالُ لَهُ: قَبِيصَةُ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَرَحَّبَ بِهِ... القصة.

التحقيق

١- هلال بن العلاء: هو هلال بن العلاء بن هلال بن عمر بن هلال بن أبي عطية، أبو عمر الرَّقي، روى عن أبيه العلاء بن هلال الباهلي كذا في «تهذيب الكمال» (.../٣٢٤/٧٢٢٣) للحافظ المزي وذكر عن الإمام النسائي قال: روى أحاديث منكرة عن أبيه، فلا أدري الريب منه أو من أبيه. اهـ.

ذكره الحافظ الذهبي في «الميزان» (٤/٣١٥/٩٢٧٦)، وكذلك الحافظ ابن حجر في لسان الميزان (١١/٧٤)، وكذلك الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٩/٧٩/٣١٨):

العلاء بن هلال: روى عن أبيه هلال بن عمر الباهلي، وروى عنه ابنه هلال بن عمر الرقي كذا في «الجرح والتعديل» (٦/٣٦١/١٩٩٧) للإمام الحافظ ابن أبي حاتم: العلاء بن هلال الرقي روى عنه ابنه هلال بن العلاء، وروى هو عن أبيه، سألت أبي عنه فقال: منكر الحديث ضعيف الحديث، روى أحاديث موضوعة». اهـ..

ونقله الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (١٤/٥٠٦/٥١٧٤)، وأقره ثم نقل أيضًا قول الإمام النسائي: «هلال بن العلاء بن هلال روى عن أبيه غير حديث منكر، فلا أدري منه أتى أو من أبيه».

لذلك قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢/١٨٤): «العلاء بن هلال بن عمر بن هلال بن أبي عطية من أهل الرقة، روى عنه ابنه، كان ممن يقلب الأسانيد ويغير الأسماء؛ لا يجوز الاحتجاج به بحال».

٢- هلال بن عمر، قال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٩/٧٨/٣١٤): «هلال بن عمر الرقي، جد هلال بن العلاء، روى عن أبيه عمر بن هلال، روى عنه ابنه العلاء بن هلال، سألت أبي عنه فقال: ضعيف الحديث». اهـ.

من بدائع الفوائد في دقيق فقه الإسناد:

١- نجد هلال بن العلاء بن هلال بن عمر بن هلال بن أبي عطية أبو عمر الرقي، فهلال بن العلاء روى عن أبيه العلاء، والعلاء روى عن أبيه هلال، وهلال روى عن أبيه عمر بن هلال؛ فهي من رواية الابن عن أبيه عن جده عن جد أبيه.

٢- ولقد تبين من هذا التحليل والتحقيق:

أ- أن رواية هلال بن العلاء عن أبيه العلاء بن هلال منكرة.

ب- والعلاء بن هلال منكر الحديث يقلب الأسانيد، ويغير الأسماء؛ لا يجوز الاحتجاج به.

جـ- وهلال بن عمر الرقي جد هلال بن العلاء ضعيف الحديث.

وأقر هذا الحافظ الذهبي في «الميزان» (٩٢٧٤/٣١٥/٤).

فهذه السلسلة التالفة المنكرة الحديث من الأبناء عن الآباء عن الأجداد.

وهناك علة رابعة في هذا الإسناد: الخليل بن مرة الضبعي البصري نزيل الرقة، روى عن محمد بن الفضل بن عطية، وروى عنه هلال بن عمر الباهلي الرقي جد هلال بن العلاء، كذا في «تهذيب الكمال» (١٧١٤/٥١٤/٥)، وذكر الحافظ المزي عن البخاري قال: الخليل بن مرة منكر الحديث، وأقره الحافظ الذهبي في «الميزان» (٢٥٧٢/١٦٧/١).

وقال ابن حجر في «التهذيب» (١٤٦/٣) قال البخاري: الخليل بن مرة منكر الحديث، وفي موضع آخر قال: لا يصح حديثه، ثم قال: ذكره الساجي، والعقيلي وابن الجارود، والبرقي، وابن السكن في الضعفاء. اهـ.

تنبيه:

أورد الحافظ السيوطي في «التدريب» (٣٤٩/١) ما يبين معنى مصطلح البخاري إذا قال في الراوي: (منكر الحديث)؛ حيث قال:

«تنبيهات: الأول: البخاري يطلق (فيه نظر) و(سكتوا عنه) فيمن تركوا حديثه، ويطلق (منكر الحديث) على من لا تحل الرواية عنه». اهـ.

هذا يدل مصطلح البخاري: «منكر الحديث على الضعف الشديد».

وقال الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢٨٢/١) الخليل بن مرة شيخ يروي عن جماعة من البصريين والمدنيين، منكر الحديث المشاهير، كثير الرواية عن المجاهيل. اهـ.

وعليه فالطريق تالف، مسلسل بالضعفاء الذين لا تحل الرواية عنهم، فهذا الطريق يزيد القصة وهنًا على وهن، إذا أضيف للطريق الذي فيه المتروك الكذب ذاهب الحديث.

طريق ثالث تالف

أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٦٠/٥) (ح٢٠٦٢١) قال: يزيد بن هارون عن الحسن عن أبي كريمة حدثني رجل من أهل البصرة عن قبيصة بن المخارق قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا قبيصة.. القصة.

خامسا: التحقيق

الإسناد الذي جاءت به القصة لا يصح، قال الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٨١٨٢/٥١٦/٢١): خزيمة روى عن رجل من أهل البصرة عن قبيصة بن المخارق، وهذا سند مبهم، والمبهم لم يصرح باسمه في الحديث، ورواية المبهم مردودة، وسبب رد روايته جهالة عينه؛ لأن من أُبهم اسمه جُهلت وجُهلت عدالته؛ فلا تُقبل روايته.

لذلك أصبح الحديث المبهم خاص هو «المبهم» والحديث المبهم هو الحديث الذي فيه راوٍ لم يُصرح باسمه، قال البيقوني في «منظومته»:

ومبهم ما فيه راو لم يسمَّ

فالطريق المظلم لا يزيد القصة إلا وهنًا على وهن، ولا يصلح للمتابعات الشواهد كما هو مقرر عند أصحاب الصناعة الحديثية.

سادسًا: قبيصة بن مخارق الهلالي صحابي

حتى لا يتقول علينا متقول في صحبة قبيصة: حيث جعلت هذه القصة واهية قصة الصحابي قبيصة بن المخارق الهلالي والوقاية من الأربع بلايا، فالقصة مفتراة لكن الصحبة ثابتة كما هو مبين.

هذا ما وفقني الله إليه، والحمد لله رب العالمين.

دعاوى التأويل المنسوبة لبعض سلف الأمة.. تفنيدها والرد عليها

إعداد/ أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فكثيرٌ من المتعصبين من أهل الكلام في زماننا كما هو الحال فيما سبقنا من أزمنة، يحتجّ ببعض آثار وردت ونُسبت لأئمة السلف بطرق مشكوك فيها، بغية أن يجدوا مبرراً لما يدينون به من تأويلات باطلة ما أنزل الله بها من سلطان، ذكرها أهل الاعتزال وأصحاب جهم وتابعوهم فيها، مع أنها في مجملها تأويلات بلا مستند من كتاب أو سنة أو أثر صحيح..

ومن المهم أن نورد بعضاً من هذه الآثار، لتفنيدها من جانب، ولنمحَّص صحيح ما كان عليه سلف الأمة من جانب آخر.. ونذكر من ذلك:

١- تأويلات ابن عباس لمعاني الصفات:

أ- فقد استدل البعض على صحة تأويل الكرسي الوارد ذكره في قول الله تعالى: (وسع كرسيه السموات والأرض..) (البقرة/٢٥٥) بما ورد عن ابن عباس من أنه: العلم، سعيًا إلى نفي علوه تعالى واستوائه على عرشه.. وروى ذلك عنه ابن جرير وابن منده في الرد على الجهمية ص ٤٧ والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٢١٠.. وهذا - عند التحقيق - خبر لم يصح عن ابن عباس؛ لعلل أهمها:

أن مداره على جعفر بن أبي المغيرة، وفيه لين.. قال عنه الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب ص ٢٠: «صدوق يهم»، ومثله لا يُقبل تفرده بمثل هذا عند المحدثين، لاسيما عند المكثرين كسعيد بن جبير.. وقد خالف فيما رواه هنا من هو أوثق منه في سعيد بن جبير، فقد روى مسلم البطين - وهو أوثق الناس في سعيد بن جبير - عن ابن عباس فيما أورده الذهبي في العلو وقال الألباني في مختصره ص ٧٥ صحيح أنه قال: (كرسيه: موضع قدميه، والعرش لا يقدر قدره).

كما قال عنه ابن منده في الرد على الجهمية ص ٤٨: «ليس هو بالقوي في سعيد بن جبير».. وقال الذهبي في العلو ص ١١٧: «قال ابن عباس: كرسيه علمه، فهذا الذي جاء من طريق جعفر الأحمر، لين، وقال ابن الأنباري: إنما يروي هذا بإسناد مطعون فيه».

ب- كما استدل البعض على صحة تأويل مجيء الرب بمجيء أمره وقضائه: بما جاء في ذلك عن ابن عباس والحسن البصري، وقد نقله النسفي وغيره في تفسيره لقول الله تعالى: (وجاء ربك والملك صفاً صفاً..) (الفجر/٢٢): وليس لهذا أصل ولا إسناد، لا عن ابن عباس ولا عن الحسن، ولا ذكره أحد من المنصفين من أهل الرواية. [ينظر لمزيد من التفصيل (الأشاعرة في ميزان أهل السنة) لابن قزار ص ٥٥٣: ٥٥٩].

ج- واستدل البعض على تأويل العين لله تعالى بما ورد عنه في تفسير قول الله تعالى: (واصنع الفلك بأعيننا..) (هود/٣٧)، قال: «بمرأى منا».. وجوابه: أنه ليس بثابت عنه، والثابت عنه بإسناد لا بأس به: «بعين الله».وأورد عطاء عنه في الآية، «قال: أشار بيده إلى عينيه»، وهذا صريح منه في إثبات العينين لله تعالى، وهو المعروف عن السلف، فقد صح مثله عن أبي عمران الجوني وقتادة ومطرف وخالد بن معدان وأبي نهيك وغيرهم.. ونقل أبو الحسن الأشعري في (مقالات الإسلاميين) و(الإبانة) و(رسالة إلى أهل الثغر)، إجماع أهل السنة على إثبات العينين لله تعالى.

وعليه فمن ذهب من أئمة السنة إلى تفسير

هذه الصفة بلازمها - باعتبار أن نوحاً لم يكن في نفس عين الله لكون ذاته تعالى ليست محلاً للمخلوقات كما هو معلوم لدى كل عاقل - ولم ينكر ثبوتها لله تعالى، فإن ذلك لا يُعد في حقه تأويلاً؛ لكون ثبوت اللازم فرع من ثبوت الملزوم. [ينظر السابق ص ٥٥٩: ٥٦١].

د- واستدل البعض كذلك على تأويل (الأيد) في قول الله تعالى: (والسماء بنيناها بأيد..) (الذاريات/٤٧) بالقوة والقدرة: بما ورد من ذلك عن ابن عباس أيضاً كما في تفسير القرطبي وغيره.. والجواب: أن هذا التفسير ليس تأويلاً لصفة لأن لفظ (الأيد) هنا ليس جمع (اليد)، بل هو مصدر: (آد يئيد أيداً) إذا اشتد وقوي، يقال: أيّدته، أي: قوّيته، و(التأييد): مصدر.. قال تعالى: (إذ أيدتك بروح القدس..) (المائدة/١١٠)، وقرئ: (إذ آيدْتك) أي: قوّيتك. وعليه قوله تعالى: (واذكر عبدنا داود ذا الأيد..) (ص/١٧)، أي: ذا القوة.. كذا أفاده ابن منظور في لسان العرب، مادة: (أيد).

ومما جاء عن أبي الحسن الأشعري في آية الذاريات، قوله في الإبانة ص ١٠٨ في رد ذلك: «وقد اعتل معتل بقول الله تعالى: (والسماء بنيناها بأيد)، قالوا: (الأيد): القوة، فوجب أن يكون معنى قوله تعالى: (لما خلقت بيدي..) ص/٧٥)، بقدرتي.. قيل له: هذا التأويل فاسد من وجوه: أحدها: أن (الأيد) ليس بجمع لليد؛ لأن جمع (يد): أيدي، وجمع (اليد) التي هي نعمة: (أيادي)، وإنما قال تعالى: (لما خلقت بيدي)، فبطل بذلك أن يكون معنى قوله: (بيدي)، هو معنى قوله: (بنيناها بأيد)».

وقال ابن خزيمة في التوحيد ص ٨٧: «وزعم بعض الجهمية: أن معنى قوله صلى الله عليه وسلم: (خلق الله آدم بيديه)، أي: بقوته، فزعم أن اليد هي القوة. وهذا من التبديل أيضاً. وهو جهل بلغة العرب، والقوة إنما تُسمى (الأيد) بلغة العرب، فمن لا يفرق بين (اليد) و(الأيد)، فهو إلى التعليم والتسليم إلى الكتاتيب أحوج منه إلى الترؤس والمناظرة» ا.هـ.

٢ - تأويلاته ومجاهد والضحاك والشافعي والبخاري للفظ (الوجه):

واستدل البعض على صحة تأويل (الوجه) في قول الله تعالى: (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام..) (الرحمن/٢٧) بـ (الذات)، وبالتالي تعطيل هذه الصفة: بما ورد عن ابن عباس، قال: «الوجه عبارة عنه».. كما عضدوا مذهبهم بأن مجاهداً والضحاك والشافعي أوّلوا صفة (الوجه) في قوله تعالى: (فأينما تولوا فثم وجه الله..) (البقرة/١١٥) بـ «قبلة الله» أو على معنى: «فثم الوجه الذي وجهكم الله إليه».

وهذا جوابه: أن (الوجه) في الآية الأخيرة: مما اختلف السلف في كونها من آيات الصفات، وأن أكثرهم على أنها ليست من آياته ففسروها بما ذكر، لاسيما أن (الوجه) قد يُراد به في لغة العرب: (الجهة)، وعليه فإن مثل هذا لا يسمى تأويلاً، إنما التأويل: صرف الآية عن مدلولها ومفهومها ومعناها المعروف.

أما هذا الذي نقله في الآية الأولى عن ابن عباس غير واحد من المفسرين: فليس له أصل، والثابت عنه إثبات الوجه لله تعالى، فقد قال رضي الله عنه - بإسناد لا بأس به - في قوله تعالى: (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة..) (يونس/٢٦): «الزيادة: النظر إلى وجه الله».. كما روى الدارقطني في كتاب (الرؤية) عن الضحاك قال: «الزيادة: النظر إلى وجه الله عز وجل»، وقال اللالكائي في (شرح أصول السنة ٣/٤٥٤ - ٤٦٣): «سياق ما فسر من الآيات في كتاب الله: على أن المؤمنين يرون الله يوم القيامة بأبصارهم.. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه من تفسيره، أنه: (النظر إلى الله عز وجل) وروي ذلك من الصحابة من غير ابن عباس: أبو بكر الصديق وحذيفة بن اليمان وأبو موسى الأشعري وابن مسعود.. ومن التابعين: عبد الرحمن بن أبي ليلى وسعيد بن المسيب، والحسن وعكرمة وعامر بن سعد البجلي، وأبو إسحاق السبيعي ومجاهد وعبد الرحمن بن سابط، وقتادة والضحاك وأبو سنان».

ويؤكد هذا أن مجاهداً وجميع من نُقل عنهم تفسير الآية من سورة الرحمن، لم ينف صفة الوجه عن الله.. وكذا فعل البخاري عندما عقد باباً في (كتاب التوحيد) من صحيحه، في إثبات (الوجه) لله مستدلاً بالآية ذاتها، وساق من الأحاديث ما يوضح أن تفسير (الوجه) بـ (الذات) لا ينافي إثبات صفة الوجه، وبما يعني: أن الذي يُنكر في هذا المقام، هو: تعطيل صفة الوجه لله تعالى، أما تفسير هذه الصفة بـ (الذات) فلا غضاضة فيه، فالشيء قد يُعبّر عنه ببعض صفاته.. وعليه فقوله: (إلا وجهه) المراد به: ذاته تعالى المتصفة بالصفات

العلى ومنها الوجه، وهذا ظاهر لا خفاء فيه؛ إذ لا يفنى منه شيء تعالى عن ذلك، وإنما عبَّر الله عن ذلك بذكر صفة من صفاته، وهي: وجهه تعالى.

قال الحافظ ابن كثير – في تفسيره لآية الرحمن بعد أن ساق قول مجاهد بأن المراد من الآية «إلا ما أريد به وجهه»: «وهذا القول، لا ينافي القول الأول – يعني: تفسيره (الوجه) بـ (الذات) – فإن هذا إخبار عن كل الأعمال بأنها باطلة إلا ما أريد بها وجه الله من الأعمال الصالحة المطابقة للشريعة، والقول الأول مقتضاه: أن كل الذوات فانية وهالكة إلا ذاته تعالى، فإنه الأول والآخر، الذي هو قبل كل شيء وبعد كل شيء».

٣ - دعوى تأويل سفيان الثوري للاستواء:

فقد جاء عن بعض من يتذرعون لإساغة صرف آي الصفات عن مفهومها ومدلولها المعروف في لغة العرب، جواز تأويل الاستواء على العرش بـ (قصد أمره)، وفي قوله تعالى: (ثم استوى إلى السماء..) (البقرة/٢٩) بالقصد إليها.. بأن ذلك ورد في مرقاة المصابيح ٢/١٣٧ عن سفيان الثوري وهو حجة.. وهذا الادعاء يَردُ عليه أن الملا علي القاري ذكره جزافاً بلا إسناد ولا عزو، ولا يُعرف هذا التأويل عن الثوري، بل المعروف المتواتر عنه قوله في جميع الصفات: (أمِرُّوها كما جاءت بلا كيف).. ولا يُعرف عن أحد من السلف قط أنه أوَّل الاستواء لله تعالى بغير (العلو والارتفاع)، سواء ما عُدِّيَ منه بـ (على)، أو ما عدي منه بـ (إلى).

٤ -دعوى تأويل الإمام مالك لصفة النزول:

وذلك فيما لم يصح نسبته إليه، فقد نُسب إليه أنه سئل عن نزول الرب، فقال: «ينزل أمرُه كل سحر، فأما هو عز وجل فإنه دائم لا يزول ولا ينتقل سبحانه لا إله إلا هو»..

والجواب: أن هذا الأثر لا يصح عن الإمام مالك؛ لكونه من رواية حبيب كاتب مالك، وهو كذاب.. قال أبو داود (كما في ميزان الاعتدال ١/٤٥٢): «(كان من أكذب الناس)، وقال: (أحاديثه كلها موضوعة)، وقال ابن حبان: (يروي الموضوعات عن الثقات)».. وقال ابن عدي (كما في الكامل في ضعفاء الرجال ٢/٤١٤): «وعامة حديث حبيب موضوع المتن مقلوب الإسناد، ولا يحتشم حبيب في وضع الحديث على الثقات، وأمره بيِّن في الكذابين»..

وحسبك بهذا الأثر نكارة أنه لم يُذكر في شيء من كتب السنة المعتناة بمعتقدات السلف وأقوالهم، ولا في شيء من كتب أصحاب مالك التي تنقل أقواله واختياراته كالمدونة وغيرها، ولا في الكتب التي تحكي عقيدة مالك كالرسالة لابن أبي زيد القيرواني وغيرها.

ولهذا الأثر طريق آخر ذكره ابن عبد البر في التمهيد ٧/١٤٣من طريق محمد بن علي الجبلي عن جامع بن سوادة عن مطرف عن مالك أنه سئل عن حديث النزول فقال: «يتنزل أمره».. وهذا أيضا إسناده مظلم، فإن محمد بن علي الجبلي قال عنه الخطيب في تاريخ بغداد ٣/١٠١: «قيل: إنه كان رافضياً شديد الرفض»، وأما جامع بن سوادة فمجهول، وقد روى له الدارقطني في غرائب مالك حديثا ثم قال: «الحديث باطل، وجامع ضعيف» (وقد ذكر هذا: الذهبي في الميزان ١/٣٨٧ وابن حجر في اللسان ٢/٩٣)، وقال عنه ابن الجوزي في الموضوعات بعد أن روى له حديث (الجمع بين الزوجين): «هذا موضوع، وجامع مجهول».

على أن هذين الأثرين مخالفان للمعروف المشهور عن الإمام مالك من إمرار الصفات عن ظاهرها، وعدم التعرض له بتأويل ولا غيره، كذا بما تقضي به عبارته المحفوظة عن مثل صفة النزول: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول)، وكما تقضي به عبارته كذلك التي في رواية الوليد بن مسلم، قال: «سألت الأوزاعي وسفيان الثوري ومالك بن أنس والليث بن سعد، عن هذه الأحاديث التي فيها (الرؤية) فقالوا: (أمِرُّوها كما جاءت بلا كيف)» [وينظر في شأن ذلك: الآجري في الشريعة ص ٣٢٧، وابن بطة في الإبانة ٣/٢٤١، والدارقطني في الصفات ص ١٧٢، والصابوني في اعتقاد أهل الحديث ص ٦٨، واللالكائي في أصول السنة ٣/٥٢٧، وابن عبد البر في الاستذكار ٢/٥١٣، والبيهقي في سننه ٣/٤، وفي الأسماء والصفات ٥٦٩، وفي الاعتقاد ١٢٣، وابن تيمية في مجموع الفتاوى٥/٣٩].

٥ - دعوى تأويل الإمام أحمد مجيء الله وإتيانه بمجيء ثوابه وإتيان أمره:

وقد احتج من تذرع بذلك بما جاء في البداية والنهاية ص٢٣٧ فيما نصه: «روى البيهقي عن الحاكم عن عمرو بن السماك عن حنبل: أن أحمد بن حنبل تأول قول الله تعالى: (وجاء ربك..) (الفجر/٢٢)، أنه جاء ثوابه، ثم قال البيهقي: وهذا إسناد لا غبار عليه».. وبما نقله ابن الجوزي عن

القاضي أبي يعلى عن أحمد في قوله تعالى: (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام..) (البقرة/٢١٠)، أنه قال: «المراد به قدرته وأمره».. وجواب ذلك:

أ- أن الرواية الأولى التي رواها حنبل، إنما قالها الإمام أحمد - على فرض ثبوتها - في مناظرته للجهمية في القرآن، وعنها قال ابن تيمية لما ذكر كلام ابن الجوزي وما نقله عن القاضي أبي يعلى:

«قلت: هذا الذي ذكره القاضي وغيره: أن حنبلا نقله عن أحمد في كتاب المحنة، أنه قال في المناظرة لهم يوم المحنة لما احتجوا عليه بقوله عليه السلام: (تجيء البقرة وآل عمران كأنهما غيايتان) قالوا: والمجيء لا يكون إلا لمخلوق، فعارضهم أحمد بقوله: (وجاء ربك..) (الفجر/٢٢) أو (أو يأتي ربك..) (الأنعام/١٥٨)، وقال: المراد بقوله تجيء البقرة وآل عمران: ثوابهما، كما في قوله: (وجاء ربك) أمره وقدرته». [مجموع الفتاوى ٤٠٥/١٦]. وكأنه يقول لهم: يحمل مجئ السورتين على مجئ الثواب كما حملتم مجئ الله على مجئ أمره ، وهذا يدل على أن الإمام أحمد إنما قاله على سبيل المعارضة وإبطال حجة الخصم من كلامه وما يعتقده في نظير ما احتجوا به عليه، لا أنه يعتقد ذلك.. وهذا من باب التنزل وعلى تقدير: (ألستم تقولون ذلك؟!)، فإن الجهمية كانت تتأول مجيئه سبحانه وإتيانه بمجيء أمره، بحجة أن ذلك لا يكون إلا لمخلوق، فعارضهم بهذا الأصل فقال: فكذلك وصف الله كلامه وهو القرآن بالمجيء في الحديث، وأراد: أن هذا مثل وصف نفسه بذلك، فلا يدل على أن كلامه مخلوق، بل يحمل القرآن - صفة كلامه سبحانه - على مجيء ثوابه كما حملتم مجيئه تعالى على مجيء أمره وقدرته، والمعارضة لا تستلزم اعتقاد المعارض صحة ما عارض به.

ب- وجوابه أيضا: أن هذا مخالف للمتواتر المشهور عن الإمام أحمد في هذا الباب من وجوب إمرار الصفات على ظاهرها، ومنع التعرض لها بتأويل أو غيره، بل إن حنبلا بن إسحاق نفسه نقل عنه ترك التأويل والمنع منه مطلقا، فقال: «قلت لأبي عبد الله: ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا؟، قال: نعم، قلت: نزوله بعلمه أم بماذا؟، قال: (اسكت عن هذا)، وغضب غضباً شديداً، وقال: (مالك ولهذا؟، أمض الحديث كما روي بلا كيف)»..

وقال حنبل: «سألت أبا عبد الله عن الأحاديث التي تروي أن الله ينزل إلى سماء الدنيا وأن الله يُرى، وأن الله يضع قدمه، وما أشبه هذه الأحاديث.. فقال أبو عبد الله: (نؤمن بها ونصدق بها، ولا نردُّ منها شيئا، **ونعلم أن ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم** حق إذا كانت أسانيد صحاح، ولا نَردُّ على الله قوله، ولا يوصف بأكثر مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)»، إلى غير ذلك مما يطول ذكره. [وينظر في شأنه: الإبانة لابن بطة ٢٤٢/٣، وأصول السنة ٤٣١/١، وإبطال التأويلات لأبي يعلى ٢٦٠/١، وغيرها].

٦- دعوى تأويل البخاري لصفة الضحك: وهي دعوى مشهورة يحتج بها كثيرا دعاة التأويل زاعمين ورود ذلك عنه في صحيح البخاري فيما نقله عنه البيهقي في الأسماء والصفات.. وجوابه:

أ- أن هذا لم يثبت عن البخاري البتة، لا في الصحيح ولا في غيره.. والبيهقي إنما علقه عن البخاري ولم يسنده، فقال: «أما الضحك المذكور في الخبر فقد روى الفربري عن محمد بن إسماعيل البخاري أنه قال: (معنى الضحك فيه: الرحمة)»، ولعله أخذه عن الخطابي في (أعلام السنن ١٣٦٧/٢) حيث قال بعد حديث الأنصاري وامرأته - وفيه: (لقد عجب الله أو ضحك من فلان وفلانة): «قال أبو عبد الله: معنى الضحك: الرحمة، وهذا من رواية الفربري، ليس عن ابن معقل».. قال ابن حجر في الفتح ٥٠١/٨ معلقا: «قلت: ولم أر ذلك في النسخ التي وقعت لنا من البخاري».

ب- ثم إن هذا معارض للمعروف من عقيدة البخاري، من كونه على طريقة شيوخه كالإمام أحمد وإسحاق وأبي عبيد وغيرهم من أئمة السلف، يُثبت الصفات لله تعالى كما جاءت على ظاهرها لا يتعرض لها بتأويل ولا غيره.

وهذا كله يؤكد أن السلف مجمعون على بطلان التأويل الصارف للآية عن مدلولها ومفهومها ومعناها المعروف، والمنع منه في صفات الله تعالى، وأن الواجب فيها إجراؤها على ظاهرها مع نفي التشبيه والتجسيم والتكييف والتفويض عنها، كما يعني ما ذكرنا: بطلان دعاوى المؤولين والمتعصبين لما عليه متأخرو الأشاعرة بالمخالفة لما كان عليه النبي وصحابته والتابعين لهم بإحسان.

نسأل الله الهداية والتوفيق، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدعاء.. قرعٌ لأبواب السماء

الحلقة الأولى

إعداد/ **أحمد صلاح**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه والتابعين، وبعدُ:

فإن الدعاء لرب الأرض والسماء له منزلة عظيمة في الشريعة، فهو أعلى مراتب العبادة، بل هو العبادة كلها، فقد روى أبو داود في سننه عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدعاء هو العبادة»، ثم قرأ: «وقال ربكم ادعوني أستجب لكم» [سنن أبي داود ١٤٨١ وصححه الألباني].

فالعبادة دائرةٌ بين نوعي العبادة (دعاء عبادة، ودعاء مسألة)، فدعاء العبادة هو الذي يتضمن الثناء على الله بما هو أهله مصحوبًا برغبة ورهبة، بخوف ورجاء.

ودعاء المسألة هو طلب ما ينفع الداعي، من جلب نفع ودفع ضر، وكلاهما لا يكون إلا لله الذي بيده الأمر والتدبير.

والدعاء سلوى المحزونين، وباب المظلومين، ونجوى المتقين، لا سيما في زمان الفتن واشتباه الأحوال التي لا ينجي منها إلا دعاءٌ كدعاء الغريق الذي يعلم أن لا مُنقذ له إلا الله، فالدعاء من أسباب كشف الغمة وتفريج الكربة، فهو الباب الأعظم الذي لا يُغلق والسهم الذي يُصيب ولا يخيب، وكان سيدُ العالمين صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل افتتح صلاته بدعاء جامع ماتع: «اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختُلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم». [رواه مسلم ٧٧٠ عن عائشة رضي الله عنها].

وفي هذا دليل على استحباب الدعاء والضراعة والاستعاذة من الفتن، ولو علم المرء أنه مستمسك فيها بالحق؛ لأن القلب بيد الرب يصرِّفه ويقلِّبه، فاللهم ثبِّت قلوبنا إلى طاعتك.

لذلك أرشدنا الشرع الحنيف إلى أهمية الدعاء لرب الأرض والسماء، والمحافظة على هذه الشعيرة المباركة، فقال تعالى: «وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ» [غافر: ٦٠]، «ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً» [الأعراف: ٥٥]، «وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ» [النساء: ٣٢]، وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن ربكم تبارك وتعالى حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرًا». [صحيح أبي داود للألباني، حديث: ١٣٢٠].

وعليه فإن الدعاء إذا صدر عن قلب سليم عامر بالتوحيد، خالٍ من الشرك، وصدر عن نفس صافية وجوارح خاشعة، كان ذلك أدعى للقبول وعدم الرد، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيبُ دعاءً من قلب لاهٍ». [صحيح الترمذي للألباني، حديث: ٢٧٦٦].

آداب الدعاء وأحكامه

للدعاء آداب وأحكام ينبغي للداعي أن يتعلمها ويتأدب بها، فإن ذلك أدعى لقبول دعائه وإجابة طلبه ومناجاته، منها:

١- الإخلاص في الدعاء:

إذ الدعاء عبادة لا تُصرف إلا إلى الله، فلا يلتفت قلب العبد في دعائه إلا للرب تبارك وتعالى فكل ما سواه لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً، وفي قوله تعالى: «فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» [غافر: ٦٥]، يقول ابن حجر: لقد دلَّ قوله تعالى على أن الإجابة مشترطة بالإخلاص.

٢- المأكل والمشرب الحلال:

قال إبراهيم بن أدهم: أطب مطعمك ولا عليك أن لا تقوم بالليل وتصوم بالنهار. [حلية الأولياء].

فقد روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أيها الناس! إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: «يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم»، وقال: «يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم»، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه من حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذي بالحرام فأنى يُستجاب لذلك.

بل هناك تلازمٌ بين أكل الحلال وحلاوة المناجاة لله تعالى، فقد قرَّر ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: «يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا»..

أن أكل الحلال عونٌ على العمل.

وقد أشار ابن الجوزي في «صيد الخاطر» إلى هذا التلازم فقال: وربما رأى العاصي سلامة بدنه وماله، فظن أن لا عقوبة، وغفلته عما عُوقب به عقوبة، وربما كان العقاب العاجل معنويًا، كما قال بعض أحبار بني إسرائيل: يا رب كم أعصيك ولا تعاقبني!! فقيل له: كم أعاقبك ولا تدري، أليس قد حرمتك حلاوة مناجاتي؟! فأكل الحلال وشربه ولبسه والتغذي به سببٌ موجبٌ لإجابة الدعاء، مع أنه من أصعب الأمور في هذا الزمان التي عمت فيه البلوى بأكل الحرام، فهذا الزمان الذي أخبر عنه صلى الله عليه وسلم، كما في البخاري.

٣- إظهار الافتقار إلى الله والانطراح بين يديه سبحانه

يقول شيخ الإسلام في «العبودية»: وكلما ازداد الشخص عبودية وافتقارًا إلى الله، ازداد كماله وعلت درجته.

ومن أعرض عن الدعاء والافتقار والإلحاح على الله، فإنه يشتغل بمسألة الناس، فيقع في مفاسد ثلاثة: مفسدة الافتقار إلى غير الله، ومفسدة إيذاء المسئول، ومفسدة ذله لغير الله تعالى، فليس بين العبد وبين ربه طريق أقرب إليه من الافتقار، ومن لم يفتقر إلى الله افتقر إلى غيره ولا بد.

٤- ألا يتكلف السجع في الدعاء

فإن حال الداعي ينبغي أن يكون حال متضرع، والتكلف في الدعاء لا يناسبه، فقد روى أبو داود في سننه أن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه سمع ابنه يقول: اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها، فقال: أي بُني سل الله الجنة وتعوذ به من النار، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء. [سنن أبي داود ٩٦ وصححه الألباني].

قال القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن»: والاعتداء في الدعاء على وجوه: منها: الجهر الكثير والصياح، ومنها أن يدعو في أن تكون له منزلة نبي، أو يدعو في مُحال، ومنها أن يدعو بما ليس في الكتاب والسنة، فيتخير ألفاظا مُسجعة قد وجدها في كراريس لا أصل لها، فيجعلها شعاره ويترك ما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكل هذا يمنع من استجابة الدعاء.

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه، فإني عهدت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب.

ولكن المنهي عنه من السجع (وهو الكلام الذي يكون على قافية واحدة) هو التكلف فيه؛ لأنه ينافي الخشوع، أما إذا جاء على اللسان من غير تكلف ولا تنطع فلا بأسَ به؛ لورود الأدعية المسجوعة الكثيرة من كلامه صلى الله عليه وسلم، كحديث: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يُستجاب لها». [رواه مسلم ٢٧٢٢ عن زيد بن أرقم رضي الله عنه].

وما رواه أبو داود في سننه عن ابن عباس قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو: رب تقبل توبتي واغسل حوبتي وأجب دعوتي وثبت حجتي واهدِ قلبي، وسدد لساني واسلل سخيمة قلبي. [سنن أبي داود ١٥١٢ وصححه الألباني].

والسل: هو نزع الشيء بلطفٍ ولين، والسخيمة: نوع من أمراض القلب يشبه الغل والحقد.

٥- أن يدعو الله وهو موقن بالإجابة على ما يعلم من نفسه من ذنوب وتقصير:

فعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يُستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول: قد دعوت فلم يستجب لي. [صحيح البخاري ٦٣٤٠].

فإذا دعوت فاسأل الله كثيرًا؛ فإنك تدعو كريمًا.

وذكر الحافظ في «الفتح» عن سفيان بن عيينة رحمه الله قال: لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه، فإن الله عز وجل أجاب دعاء شر الخلق إبليس -لعنه الله-: «قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين».

ولكن ربما يكون تأخير الإجابة امتحانًا لك يا عبد الله، واعلم أن دعاء المؤمن لا يُردُّ، ولكن قد يكون الأوْلى له تأخير الإجابة أو يُعوض بما هو أولى له عاجلاً أو آجلا، فقد روى أحمد في مسنده بسند صحيح من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تُعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإمّا أن يصرف عنه من السوء مثلها، قالوا: إذن نكثر، قال: الله أكثر. [صحيح مسلم ٧٩].

وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يقل أحدكم إذا دعا: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة؛ فإنه لا مستكره له. [صحيح البخاري ٦٣٣٨].

٦- أن يكون الدعاء بصوت بين المخافتة والجهر:

فقد روى البخاري في صحيحه (٤٢٠٢): عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَجْهَرُونَ بِالتَّكْبِيرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى

أَنْفُسكُمْ إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ.

وفي رواية أبي داود (١٥٢٨): إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَعْنَاقِ رِكَابِكُمْ.

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت في قوله تعالى: «ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها» أي: بدعائك.

وقد أثنى الله تعالى على عبده ونبيه زكريا عليه السلام حيث قال: «إذ نادى ربه نداءً خفيًا»، فهذا أدعى لخشوع القلب واستشعار القرب من الله تعالى، وهي غاية مقصودة في الدعاء، وهو أبلغ في الإخلاص والبعد عن الرياء.

٧- أن يتوسل الداعي إلى الله بالأعمال الصالحة التي عملها:

كان يقول الداعي: اللهم بإيماني بك ومحبتي لك ولرسولك ولأوليائك اغفر لي وارحمني واعف عني، وكذلك بأن يذكر الداعي عملاً صالحا قام به لوجه الله تعالى كصدقة وصلة، وصلاة وصيام، وذكر وتلاوة قرآن، وغير ذلك.

ويدل على هذا قوله تعالى: «الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» [آل عمران: ١٦]، و «رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ» [آل عمران: ١٩٣].

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: « انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَتَّى أَوَوْا الْمَبِيتَ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ [صحيح البخاري ٢٢٧٢].

وفي رواية لمسلم: فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لِلَّهِ فَادْعُوا اللَّهَ بِهَا لَعَلَّهُ يُفَرِّجُهَا عَنْكُمْ. [صحيح مسلم ٢٧٤٣].

٨- أن يُقدم العبد بين يدي دعائه الاعتراف بالذنب والندم عليه والاستغفار منه:

وفي الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبٍ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ». [رواه البخاري ٢٦٦١].

ومن الجدير بالإشارة إليه أن مجرد الاعتراف بالذنب لا يكون توبة إلا إذا اقترن ذلك الاعتراف بالندم على الماضي من الذنب، والعزم على تركه في المستقبل؛ إذ الاستغفار مع الإصرار توبة الكذابين، فالتوبة والإصرار ضدان لا يجتمعان.

لذلك تعاضدت الآيات والأحاديث على فضل تقديم الاعتراف بالذنب بين يدي الدعاء، ومن ذلك ما ثبت عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي قَالَ قُلْ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. [صحيح البخاري ٨٣٤].

وذكر الحافظ ابن حجر في «الفتح» عقب هذا الحديث، قوله تعالى: «وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ» [آل عمران: ١٣٥].

قال القرطبي في تفسيره: وكل دعاء ضَمَّ هذا المعنى أو لفظه فهو استغفار.

٩- أن يكرر العبد الدعاء ثلاثًا، مع الإلحاح فيه وقت الشدة والرخاء:

إذ الإلحاح افتقارٌ إلى الله، واستسلامٌ له تعالى، والله يحب ذلك، فعلى المسلم أن يُلِحَّ في سؤاله لربه ويظهر حاجته وفاقته لله الغني سبحانه، فالإلحاح في الدعاء مما يُستدفع به البلاء، وتستنزل به النعماء، وهذا من هديه صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قال: «كَانَ إِذَا دَعَا دَعَا ثَلَاثًا وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثًا» [صحيح مسلم ١٧٩٤].

قال النووي رحمه الله- تعليقًا على هذا الحديث-: فيه استحباب تكرير الدعاء ثلاثًا، وقوله: «وإذا سأل» هو الدعاء، ولكن عطفهُ لاختلاف اللفظ توكيدًا.

وفي صحيح البخاري (كتاب الطب- باب تكرير الدعاء): أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا الله تعالى وكرَّر الدعاء لما سحره لبيد بن الأعصم اليهودي، وذكر حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دعا ثم دعا. [صحيح مسلم ٢١٨٩].

وهذا معبَّرٌ عن شدة الفاقة، وصدق الإقبال على الله تعالى، وأن العبد إذا دعا لم يزل الله تعالى في حاجته ما لم يستعجل، فقد ضمن الله لك الإجابة فيما يختار، لا فيما تختار أنت، وفي الوقت الذي يريد، لا في الوقت الذي تريد، فالله يعلم ما ينفعك من نفسك.

فالله تعالى يحب الإلحاح في الدعاء؛ لما فيه من الانقياد والافتقار له تعالى، فمن يكثر قرع الباب يوشك أن يُفتح له، كما ينبغي ألا يكون إلحاح المسلم علي ربه عند الرخاء فحسب، أو أن يكون في الرخاء أقل من إلحاحه في الشدائد، ففي سنن الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء» [سنن الترمذي ٣٣٨٢ وحسنه الألباني].

البقية في العدد القادم إن شاء الله.

عوامل الصبر والثبات

العامل الخامس: القرآن الكريم

الحمد لله حمدًا يليق بجلاله وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على عبده ورسوله الذي اصطفاه على جميع انامه، وعلى زوجاته الطاهرات، وعلى أصحابه الغر الميامين المتبعين لهديه في كل أحكامه.

وبعد، فما يزال الحديث موصولاً عن عوامل الصبر والثبات، ونعيش بمشيئة الله تعالى مع العامل الخامس ألا وهو: القرآن الكريم.

أولا: معنى كون القرآن الكريم عاملاً من عوامل الصبر:

قال المباركفوري في الرحيق المختوم: (وفي هذه الفترات العصيبة الرهيبة الحالكة كانت تنزل السور والآيات تقيم الحجج والبراهين على صدق مبادئ الإسلام . التي كانت الدعوة تدور حولها . بأساليب منيعة خلابة، وترشد المسلمين إلى أسس قدّر الله أن يتكون عليها أعظم وأروع مجتمع بشرى في العالم . وهو المجتمع الإسلامي . وتثير مشاعر المسلمين ونوازعهم على الصبر والتجلد، تضرب لذلك الأمثال، وتبين لهم ما فيه من الحكم « أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ » [البقرة:٢١٤]، « الٓمٓ (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ » [العنكبوت:١: ٣] كما كانت تلك الآيات ترد على إيرادات الكفار والمعاندين ردًا مفحمًا، ولا تبقي لهم حيلة، ثم تحذرهم مرة عن عواقب وَخِيمَة . إن أصرَوا على غيهم وعنادهم . في جلاء ووضوح، مستدلة بأيام الله، والشواهد التاريخية التي تدل على سنة الله في أوليائه وأعدائه، وتتلطفهم مرة، وتؤدي حق التفهيم والإرشاد والتوجيه حتى ينصرفوا عما هم فيه من الضلال المبين. وكان القرآن يسير بالمسلمين في عالم آخر، ويبصرهم من مشاهد الكون وجمال الربوبية، وكمال الإلوهية، وآثار الرحمة والرأفة، وتجليات الرضوان ما يحنون إليه حنينا لا يقوم له أي عقبة. وكانت في طي هذه الآيات خطابات للمسلمين، منها « يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ » [التوبة:٢١] وتصور لهم صورة أعدائهم من الكفرة الطغاة الظالمين يحاكمون ويصادرون، ثم « يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ » [القمر:٤٨]. اهـ.

المستشار/ أحمد السيد علي

إعداد/

وما يزال القرآن معجزة الله الخالدة على مر الأزمان والعصور، ما تمسك به أحد إلا وكان عاملاً من عوامل الصبر والثبات، وكيف لا، وقد أخبر الله عز وجل في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، بأنه سيبتلي المؤمنين بشتى أنواع الابتلاءات، وبشرهم بالصلوات منه والرحمة والهداية، فقال تعالى: « وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ » (البقرة: ١٥٦/١٥٧).

ثانيا: تأثير القرآن ،كعامل من عوامل الثبات على بعض أنواع الصبر المختلفة.:

أولا: في الصبر على المصائب:

كان للقرآن أثر بالغ في نفوس الصحابة، في الصبر على المصائب، وليس أدل على ذلك مما رواه أبي بن كعب رضي الله عنه قال: (لَمَّا كانَ يومُ أحدٍ، أصيبَ منَ الأنصارِ أربعةٌ وستُّونَ رجلاً، ومنَ المُهاجرينَ ستَّةٌ، في هم حمزةُ، فمثَّلوا بهم فقالتِ الأنصارُ: لئن أصبنا منْهم يومًا مثلَ هَذا لنُربِيَنَّ عليْهم. قالَ: فلمَّا كانَ يومُ فتحِ مَكَّةَ فأنزلَ اللَّهُ تعالى: (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ)، فقالَ رجلٌ: لا قريشَ بعدَ اليوم. فقالَ رسولُ اللَّه صلَّى الله عليه وسلم: كفُّوا عنِ القوم إلاَّ أربعةً) (رواه الترمذي، وقال عنه الألباني: حسن صحيح) وفي رواية أخرى: (فقالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ

وسلَّم: نصبرُ ولا نعاقبُ) (أخرجها عبد الله بن أحمد في زوائد المسند وحسنها الألباني).

وما رواه جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: (لمَّا قُتل عبدُ الله بنُ عمرو بن حرام يومَ أُحُد، لقيَني رسولُ الله، فقال: يا جابرُ ! ألا أُخبرُك ما قال اللهُ لأبيك؟ وقال يحيى في حديثه: فقال: يا جابرُ ! ما لي أراك مُنكسرًا؟ قال: قلتُ: يا رسول الله ! استُشهد أبي وترك عيالًا ودينًا. قال: أفلا أبشِّرُك بما لقيَ اللهُ به أباك؟ قال: بلى: يا رسولَ الله ! قال: ما كلَّمَ اللهُ أحدًا قطُّ إلا من وراء حجاب، وكلَّمَ أباك كفاحًا، فقال: يا عبدِي ! تمنَّ عليَّ أُعْطك، قال: يا ربِّ ! تُحييني فأُقتلُ فيك ثانيةً. فقال الربُّ سبحانَه: إنَّهُ سبقَ منِّي أنَّهم إليها لا يُرجعون. قال: يا ربِّ ! فأبلغْ مَن ورائي، قال: فأنزل اللهُ تعالى: وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ» (رواه ابن ماجه وحسنه الألباني).

وما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صل الله عليه وسلم: (لمَّا أُصيب إخوانكم بأُحُد جعل اللهُ عزَّ وجل أرواحهم في أجواف طيرٍ خُضرٍ تردُ أنهارَ الجنة تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديلَ من ذهب في ظلِّ العرش فلمَّا وجدوا طيبَ مشربهم ومأكلهم وحسنَ منقلبهم. قالوا: يا ليتَ إخواننا يعلمون بما صنع اللهُ لنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب. فقال اللهُ عزَّ وجلَّ: أنا أبلغهم عنكم فأنزل اللهُ عزَّ وجلَّ هؤلاء الآيات على رسوله «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ» (رواه أحمد في مسنده وصححه أحمد شاكر).

فانظر أخي الحبيب كيف كان القرآن الكريم عاملاً من عوامل صبر الصحابة على مصيبة فقد أحبائهم!!!

ثانيًا: في الصبر على الابتلاءات:

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «قدم عُيَينَةُ بنُ حصن بن حُذيفة، فنزل على ابن أخيه الحرِّ بن قيس، وكان من النفر الذين يُدنيهم عُمَرُ، وكان القراءُ أصحابَ مجالسِ عُمَرَ ومشاورته، كهولا كانوا أو شبابًا، فقال عُيَينةُ لابن أخيه: يا ابنَ أخي، لك وجهٌ عند هذا الأمير، فاستأذنْ لي عليه، قال: سأستأذنُ لك عليه، قال ابنُ عباس: فاستأذن الحرُّ لعُيَينَة، فأذن له عُمَرُ، فلما دخل عليه قال: هي يا ابنَ الخطَّاب، فوالله ما تُعطينا الجزْل ولا تحكُمُ بيننا بالعَدل. فغضب عُمَرُ حتى همَّ به، فقال له الحرُّ: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ الله تعالى قال لنبيِّه صلى الله عليه وسلم: «خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ»، وإنَّ هذا من الجاهلين. والله ما جاوَزَها عُمَرُ حين تلاها عليه، وكان وقَّافا عند كتاب الله». (رواه البخاري).

ثالثًا: الصبر على أداء الطاعات:

لقد كان القرآن الكريم عاملاً من عوامل الصبر على طاعة الله سبحانه وتعالى، فإذا نزلت الآيات تأمر الصحابة بالطاعة، سارعوا بامتثالها دون كلل أو ملل، وليس أدل على ذلك من الآتي:

١- ما رواه عبد الله بن عمر، أنَّ أباهُ عمر بن الخطَّاب - رضيَ اللَّهُ عنْهُ -، كانَ يصلِّي منَ اللَّيلِ ما شاءَ اللَّهُ، حتَّى إذا كانَ من آخرِ اللَّيل؛ أيقظ أهلَهُ للصَّلاة يقول لَهُم: الصَّلاةَ ثمَّ يتلو هذه الآيةَ: وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى» (أخرجه مالك وصححه الألباني).

فأصحاب النبى صل الله عليه وسلم كانوا أصبر الناس على الطاعة وأحرص الناس عليها، بينما البعض منا الآن بينه وبين الطاعة عداء شديد، وتتلى عليه آيات الله بوجوبها، فلا تحرك عنده ساكنا، فكم من مفرط فى الصلاة، وكم من مضيعة للحجاب، وكم من آكل لأموال اليتامى، إذا ذكرهم الدعاة بما هم عليه من خطر وتلوا عليهم آيات الله، قابلوا كلامهم باستهزاء وسخرية كما قال ربنا (وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ» (المائدة ٥٨).

رابعًا: الصبر عن المعاصي:

١- عن ابن عباس لما نزلت هذه الآية: «ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن»، و «إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما» قال: اجتنب الناس مال اليتيم وطعامه، فشق ذلك على المسلمين، فشكوا ذلك إلى النبي فأنزل الله: «ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير» إلى قوله: «لأعنتكم» (أخرجه النسائي وصححه الألباني).

هذا وما ذكرنا من الأنواع الأربعة إنما هي مجرد نماذج من أثر القرآن كعامل من عوامل الصبر والثبات، وإلاَّ فللقرآن أثر في تصبير المسلم في مناخ عديدة وأنصح نفسي وإخواني بالرجوع إلى كتاب الله والاطلاع على كنوزه والاستفادة منه في أدب الصبر وغيره من الآداب، ونسأل الله العظيم أن يجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونور أبصارنا، والحمد لله رب العالمين.

أحكـام الـصـلاة

صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم

قراءة القرآن بعد الفاتحة

الحلقة الثالثة

د. حمدي طه

الحمد لله وصلى الله وسلم على سيدنا رسول الله، وبعد:

فقد بدأنا في العدد السابق الكلام على هدي النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قراءة السورة في الصلاة، وذكرنا فيه على سبيل الإجمال السور التي كان النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرؤها في الفروض الخمسة، وكذا صلاة الجمعة والعيدين، ونكمل في هذا العدد بيان قراءته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النوافل؛ لنستخلص مما ذكرناه الهدي العام لقراءته في الصلاة، وكما بدأنا بالقراءة في صلاة الصبح في الفروض نبدأ بها أيضًا في النوافل:

١- ركعتا السنة لصلاة الصبح:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخَفِّفُ الرَّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ قَبْلَ صَلَاةِ الصُّبْحِ حَتَّى إِنِّي لَأَقُولُ هَلْ قَرَأَ بِأُمِّ الْكِتَابِ. (رواه البخاري ومسلم).

وقرأ فيهما النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قل يا أيها الكافرون في الأولى، وقل هو الله أحد في الأخرى (رواه مسلم وأبو داود والنسائي).

وقرأ فيهما النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأولى منهما الآية التي في البقرة (قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا) إلى آخر الآية، وفي الأخرى (ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ) (رواه مسلم وأبو داود والنسائي).

وقرأ فيهما النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا) في الرَّكْعَةِ الأُولَى، وفي الرَّكْعَةِ الأُخْرَى بِهَذِهِ الآيَةِ (رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) أَوْ (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ) شَكَّ الدَّرَاوَرْدِيُّ. (رواه أبو داود).

٢- سُنة المغرب:

أما سنة المغرب البعدية فقرأ فيهما النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد) (أحمد والنسائي)

٣- صلاة الوتر:

(قرأ فيها النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الركعة الأولى سبح اسم ربك الأعلى: وفي الثانية قل يا أيها الكافرون وفي الثالثة قل هو الله أحد (رواه النسائي وأبو داود وابن ماجه).

وكان يضيف إليها أحيانًا في الركعة الثالثة: قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس (رواه الترمذي وابن ماجه)، وقرأ فيها النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ركعة الوتر بمائة آية من النساء (رواه النسائي وأحمد).

٤- صلاة الليل:

عن عائشة قالت: (كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين) رواه أحمد ومسلم.

وكان صلى الله عليه وسلم يقصر القراءة فيها تارة ويطيلها أحيانًا، ويبالغ في إطالتها أحيانًا أخرى، كما في حديث حذيفة قرأ فيها النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالبقرة والنساء وآل عمران (مسلم والنسائي).

و(كان يقرأ فيها النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كل ليلة ببني إسرائيل والزمر (أحمد وأبو داود).

وقرأ فيها النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل رَكْعَة بقدر سورة يا أيها المزمل (أحمد وأبو داود).

(وقرأ فيها النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل ركعة قدر خمسين آية أو أكثر) أخرجه الطبراني في الكبير وصححه الألباني.

و(قام ليلة بآية يرددها حتى أصبح وهي: « إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ » (رواه أحمد والنسائي)، وأقر النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم رجلاً على قيام الليل بسورة (قل هو

الله أحد)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن) (رواه البخاري).

وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقَنْطِرِينَ»، وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (من قرأ في ليلة بمائتي آية فإنه يُكتب من القانتين المخلصين) (الدارمي والحاكم)، ونهى أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث. (رواه أحمد بسند صحيح)، و(ما كان صلى الله عليه وسلم يصلي الليل كله) إلا نادرًا. (انظر في ذلك كتاب: صفة صلاة النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للعلامة الألباني ص١٢٠).

ما يستفاد من الهدي العام

في قراءة النبيّ صلى الله عليه وسلم في الصلاة:

١- ليست هناك سُنَّة ثابتة في اختيار الآيات القرآنية لكل صلاة:

إن ما ورد في الأحاديث النبوية الشريفة مما كان يقرؤه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الصلوات الخمس والنوافل يدل على أنه ليست هناك سُنَّة ثابتة في اختيار الآيات القرآنية لكل صلاة إلا في بعض الصلوات كصلاة فجر الجمعة وصلاة الجمعة والعيدين التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر فيها من قراءة بعض السور.

لذا فإن المسلم بالخيار بين قراءة هذه السورة أو تلك في هذه الصلاة أو تلك، فليست أية سورة من سور القرآن الكريم بأفضل من أختها لصلاة دون صلاة، يدل على ذلك أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ في الصلاة الواحدة كالمغرب مثلا بقصار المفصَّل تارة، وبالسور الطويلة تارة أخرى، مما ينفي اختصاص أية صلاة مكتوبة بسور معينة، فالأمر إذن موسَّع، يبدأ بقراءة آية واحدة، وينتهي بمقدار ما يطيق المسلم قراءته من القرآن، فقد يقرأ المسلم الآيات الكثيرة، وقد يقرأ سورة قصيرة واحدة، وقد يقرأ السورتين، وقد يقرأ السور الكثيرة الطويلة منها والقصيرة، يختار ما يشاء بحسب قدرته وسعة وقته لاسيما في قيام الليل. [الجامع لأحكام الصلاة: محمود عبد اللطيف عويضة ٢/٢٢٦].

٢- مقدار القراءة في الصلوات الخمس:

لا بد من ملاحظة أن صلاة الصبح على العموم هي أطول صلواته عليه الصلاة والسلام، وقد قُدرت قراءته فيها ما بين الستين إلى المائة آية في الركعة الواحدة، تليها في الطول صلاة الظهر، وقد قدرت قراءته فيها بثلاثين آية في الركعة الواحدة، وتعادلت صلاة العصر مع صلاة العشاء بمقدار خمس عشرة آية في الركعة الواحدة، وأن المغرب هي أخف وأقصرُ صلواته عليه الصلاة والسلام، وهذا كما قلت هو على العموم ولم يكن مُطَّردا. [الجامع لأحكام الصلاة: محمود عبد اللطيف عويضة٢/٢٢٩].

قلت: ويشهد لذلك حديثان من أجمع ما ورد في قدر قراءته صلى الله عليه وآله وسلم في الصلوات الخمس

الحديث الأول: وهو حديث جابر بن سمرة: (أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ في الفجر بـ«ق والقرآن المجيد» ونحوها، وكان صلاته بعد إلى تخفيف). وفي رواية: (كان يقرأ في الظهر بالليل إذا يغشى، وفي العصر نحو ذلك وفي الصبح أطول من ذلك) رواهما أحمد ومسلم. وفي رواية: (كان إذا دحضت الشمس صلى الظهر وقرأ بنحو من: «والليل إذا يغشى» والعصر كذلك، والصلوات كلها كذلك إلا الصبح فإنه كان يطيلها) رواه أبو داود.

الحديث الثاني: وهو حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ما رأيت رجلا أشبه صلاة برسول الله - صلى الله عليه وسلم - من فلان، لإمام كان بالمدينة، قال سليمان بن يسار: فصليت خلفه فكان يطيل الأوليين من الظهر ويخفف الأخريين، ويخفف العصر، ويقرأ في الأوليين من المغرب بقصار المُفصَّل، ويقرأ في الأوليين من العشاء من وسط المُفصَّل، ويقرأ في الغداة بطوال المُفصَّل» رواه أحمد والنسائي).

والإمام الذي كان بالمدينة هو عمر بن عبد العزيز كما صرحت بذلك إحدى الروايات.

هذا ما تيسر لنا جمعه من قراءته - صلى الله عليه وسلم - في الصلاة، سواء المفروضة أو النافلة التي صحّح روايتها علماء الحديث، على أن نبدأ في الحلقة القادمة بيان الأحكام العامة المستفادة من هديه في قراءته صلى الله عليه وسلم في الصلاة بأدلتها التفصيلية.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

من سمات أهل الزيغ رد الأحاديث الصحيحة المحكمة واتباع الأحاديث المتشابهة

الشيخ الدكتور عبد المحسن بن حمد العباد البدر

الحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد

فإن من سمات أهل الزيغ رد الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم واتباع الأحاديث الضعيفة والمتشابهة . وقد اطلعت على مقالة نشرتها بعض الصحف ركبت فيها رأسها وحكّمت عقلها، فردّت حديث شرب أبوال الإبل الثابت في الكتب الستة وغيرها وهو حديث محكم واضح الدلالة، وعوّلت على حديث متشابه جاء في مسند الإمام أحمد (١٦٠٥٨) وغيره، وهو: «إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم وتلين له أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم قريب فأنا أولاكم به، وإذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم وترون أنه بعيد منكم فأنا أبعدكم منه»، واعتبرته معيارا لما يُقبل ويُرد من الأحاديث بالعقل، وهذه طريقة أهل الزيغ يتبعون المتشابه الذي تقبله عقولهم ويدعون المحكم الذي لا تقبله عقولهم، وأورد هنا مقاطع من هذه المقالة الشنيعة التي يتضح بالاطلاع عليها تلوث عقلها وشدة انحرافها عن الحق والهدى، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما كما في فتح الباري (٦/٣٣٣): «من ترك الحق مرج عليه رأيه، والتبس عليه دينه»، قالت:

١- «تتجافى جنوب الكارهين عن المضاجع، يصلون ليلهم بنهارهم شاحذين هممهم، بحثاً عن ضحية يرمونها على مذبح الكراهية، وبكل التهم والحقد والضغينة والبغضاء ينهشون عرضها وإيمانها وعقلها وإنسانيتها، ثم يحشدون جنودهم - المؤدلجين لخدمة مصالحهم - ليتنادوا مبشرين بشطب الضحية ونفيها ومحوها، وما أن ينتهوا من ضحية - سواء أفلحوا في نصب شراكهم ضدها أو أخفقوا - حتى يشرعوا رحلة التفتيش عن ضحية أخرى، هدف واحد تحمله على أكفّ الكراهية عقولهم وأفئدتهم التي فرغت إلا من تدنيس تربة الخير والحق والعدل، إننا مخدوعون بأحكام الرجال عندما نستخدم أقوالهم قبل وضعها في ميزان الشك والنقد، فتكتسب قداسة شمولية، كمقولة النووي والذهبي وغيرهما بأن (كتاب البخاري أصح كتاب بعد القرآن)، لتتحول القداسة من التمحور حول الرجال كمعصومين، إلى شمول الأقوال كمقدس، وكأن الله أنزل كتابين على المسلمين؟!»

٢- «الهجمة الشرسة على بعض الزملاء عندما التمس بقاعدة واضحة لنقد المتن تساؤلاً فطرياً مشروعاً حول بعض الأحاديث، كحديث شرب أبوال الإبل، وحديث السمع والطاعة للأمير، وإن جلد ظهرك وسرق مالك، تمنيت لو جاء رد أحد (المتدينين) - مع التحفظ على المصطلح - على الكاتب رداً علمياً أميناً، لكن للأسف وكالعادة جاءت غالبية الردود؛ ردود تصفية؛ حزبية الأصل والمنشأ، ففضلت المشاركة إيماناً بأن الله سبحانه يُظهر حكمته لمن تقوده رغبة الحق أولاً، وتهفو أمانته للبحث الغاض عن الانتماءات العنصرية، إلى حيث رحابة العدالة وجدية الرؤية المبرهنة، بما توفره جاهزية المؤمن الصادق لقبول الحق باستشعار فؤاده أولاً، مصداقاً للحديث المرفوع للرسول صلى الله عليه وسلم: (إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم وتلين له أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم قريب فأنا أولاكم به، وإذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم وترون أنه بعيد منكم فأنا أبعدكم منه). فمؤمن يؤمن بقيمة قلبه وشعوره وبشريته وفطرته وصفاء سريرته حقيق عليه تقبل وتطبيق هذا المعيار، إلا أن للحزبيين ومصالحهم قولاً آخر،

يردون كل حديث له مع الإنسانية التقاء طريق، في تهافتهم المحموم بعقيدتهم الكارهة المنطلقة في عبثيتها إلى دروب الغي والضلال والتعدي الصريح على الإنسان فيسوقونه لمهاترات لا ينتهي سوقها؛ فبائع منها ومشترٍ.. ألا كسدت تجارة المبطلين!

ولئن كان استشعار صحيح الرواية من سقيمها واضحاً لأهل النفوس؛ دقيقة الحس والتصور والفهم، فيردفها قواعد تعينها على التمييز، فالفقهاء خاصة بعد مقتل عثمان بن عفان والحسين بن علي رضي الله عنهما وضعوا قواعد لنقد المتون لمواجهة حركة وضاعي الحديث الذين كثروا مع طلائع الحكم الملكي في عصر بني أمية، وحركة الوضاعين هدفها الدسّ والكذب على الرسول الكريم لتشويه الشرع وطمس حقائق القرآن، ومقاصد الشرع.

وبمنهجية صارمة كان الفقهاء لا يقبلون أي متن لأيّ حديث مهما بلغت صحة سنده إلا بما وافق شروط التصحيح، فشروط المتن تقي من أي أخطاء في النقل يقع من صحابي أو غيره، ومع هذه الشروط لا يعني عدم احتمال وقوع الغلط منهم، فقد خطأ الصحابة بعضهم بعضاً كما في استدراكات عائشة على الصحابة، لذا كانت قواعد نقد المتن وسيلة علمية للتدقيق في صحة الحديث، فالقواعد المنهجية في قبول متن الحديث تشمل ١٥ قاعدة لا يُقبل الحديث متناً إذا صادم واحدة منها، من هذه القواعد: ألا يخالف بدهيات العقول، ألا يخالف القواعد العامة في الحكمة -الطب- والأخلاق، ألا يشتمل على سخافات يصان عنها العقلاء، والطب والحكمة والعقل ترد متن رواية شرب أبوال الإبل بحسب المنهجية التي اعتمدها الفقهاء في الشرطين السابقين، فإذا أضيف لهما معيار الحس والذوق السليم الذي حواه الحديث الأول فإن تصور شرب بول الإبل تنفر منه المهج السليمة، وتنكره قلوب وأشعار وأبشار المؤمنين، أما إن أبى من أبى فليشرب أبوال الإبل، ولن يمنعه منكر مستهجن بقلبه وحسه وشعوره، وليضرب بشروط الفقهاء عرض الجدار وطوله».

٣- «الرواية وإن كانت في البخاري يجوز للفرد ردها بعقله حتى لو لم يكن متخصصاً».

٤- «بهيمنة التيار المنغلق أغلقت أبواب العقل، وصودر حق التفكير الفرداني الحر، فاضمحل التفكير بعمومه إلى أن تلاشى التوظيف العقلاني للنص في عصر الانحطاط أثناء حكم المتوكل، وهيمن على الوعي الإسلامي فيه فضل النقل على العقل، فتوقفت لغة البحث الحي الجاد، ويكفي كاستدلال نقلي صرف ترسيخ قيمة السند وإهمال المتن، بالرغم من أن السند وسيلة والمتن غاية، وليس ذلك بمستغرب، فمواضع الاستدلال شأن عقلي يفعّل القواعد، ولا يكتفي بتسجيلها للفرجة، ونحن اليوم أمام أشد لحظات الاستحقاق التنويري الديني الفلسفي لإنقاذ العقل من نومة غفلته السادرة منذ قرون».

وهذه بعض التعليقات على ما تضمنته هذه المقاطع:

١- ما ذكرته في المقطع الأول من وصفها بالكراهية للذابّين عن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم الصحيحة المنكرين على من تطاول عليها بالرد والاستهزاء، يُجاب عنه بأن بيان الحق وإنكار المنكر واجب، والحب في الله والبغض في الله من أوثق عرى الإيمان، فالمسلم العاقل يحب كل من يحبه الله ورسوله من الذوات وكل ما يحبه الله ورسوله من الاعتقادات والأقوال والأفعال، ويبغض كل من كان وما كان بخلاف ذلك، وليست المحبة والكراهية محبة وكراهية أهل الانحراف الذين يحبون من لا يتعرض لانحرافهم ولو كان كافراً ويكرهون كل من يتعرض لباطلهم من أهل السلامة والاستقامة على الحق والهدى، وقد قال الله عز وجل: «لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ» [المجادلة :٢٢]، وقال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» [التوبة :٢٣]، وقال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» [المائدة :٥٧].

٢- وأما ما ذكرته من تسلسل الردود على المنحرفين عن جادة الحق والصواب الذين أطلقت عليهم «ضحايا» فسبب هذا التسلسل عدم حصول التأديب لأوائلهم ذلك التأديب الذي يمتنع معه وقوع من بعدهم بمثل ما وقعوا فيه، كما قال عثمان رضي الله عنه: «إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع

بالقرآن»، وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم في حق الكفار الذين يعاهدونه وينقضون العهد إذا لقيهم في الحرب أن يجعلهم نكالاً لمن بعدهم من الكفار فقال: «إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ» (الأنفال: ٥٥- ٥٧)، وكذلك أهل الزيغ والضلال المنحرفون عن جادة الصواب إذا حصلت العقوبة لأوائلهم كانت سبباً في سلامة من بعدهم من الانحراف المستوجب للعقوبة.

٣- وأما ما ذكرته من استنكارها على النووي والذهبي أن صحيح البخاري أصح كتاب بعد القرآن، وأن في ذلك تقديساً للرجال والكتب، فإن من المعلوم أن التعويل على كلام أهل العلم والفقه في الدين وليس على كلام أهل الزيغ والانحراف، والكتب المؤلفة في الصحيح أصحها صحيح البخاري وصحيح مسلم، قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٢٠/٣٢١): «فإن الذي اتفق عليه أهل العلم أنه ليس بعد القرآن كتاب أصح من كتاب البخاري ومسلم»، ولن يضير هذا الذي اتفق عليه أهل العلم أن ينكره من هو أجنبي عن العلم الشرعي.

والسنة وحي من الله كما قال الله عز وجل: «وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ»، وقال: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا»، وقال: «فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»، ثم متى كان أهل الزيغ والضلال مؤهلين لنقد الأحاديث والرجال والكتب بأهوائهم؟!

٤- ما ذكرته في المقطع الثاني من تأييدها لبعض الكُتاب في إنكار التداوي بشرب أبوال الإبل وعدم التصديق به، وإن كان مروياً في الصحيحين وغيرهما؛ هو من أمثلة وقوع الطيور على أشكالها، وهو من التعاون على الإثم والعدوان واتباع الأهواء والشهوات، وقد قال الله عز وجل: «وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ».

وأما ما ذكرته من التعويل على حديث: «إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم» السالف الذكر واعتباره معياراً لما يُقبل ويُرد من الأحاديث، فيجاب عنه بأن متنه من المتشابه ولا يجوز اعتباره معياراً لما يُقبل من الأحاديث بالعقل؛ لأن العقول متفاوتة، فما يقبله عقل هذا ينكره عقل هذا، وما ينكره عقل هذا يقبله عقل هذا، ثم إن أكمل العقول عقول الصحابة ومن سار على نهجهم، وهؤلاء هم المعنيون بهذا الحديث، وليس معنياً به الذين يتبعون المتشابه اعتماداً على عقولهم من التغريبيين الماكرين بهذه الأمة حكومة وشعبا.

وقد ذكر المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير (١/٣٨٢): أن المراد به المؤمنون الكاملون الإيمان الذين استضاءت قلوبهم من مشكاة النبوة، وقال الشيخ الألباني معلقاً على الحديث في كتابه صحيح الجامع الصغير (٦١٢): «الخطاب خاص بالصحابة وأهل العلم بالحديث ونقاده ممن هم مثلهم في صفاء القلوب وطهارة النفوس والمعرفة بسيرته صلى الله عليه وسلم».

وأيضاً فإنه يلزم على طريقة هؤلاء المتكلفين الذين اعتبروه معياراً لما يُقبل ويُرد من الأحاديث أن كل حديث يُنسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو صحيح المعنى أن يُقبل ولو كان موضوعاً، مثل حديث: «ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار، ولا عال من اقتصد» رواه الطبراني من طريق عبدالقدوس بن عبدالسلام بن عبدالقدوس بن حبيب عن أبيه عن جده عن الحسن عن أنس، أورده الألباني في: «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» (٦١١) وقال عنه «موضوع؛ عبدالقدوس الجد كذاب، وابنه اتهمه بالوضع ابن حبان»، ومتنه جميل المعنى تقبله العقول، ومع ذلك لا يجوز نسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنه مكذوب عليه.

ومع وضوح كون هذا الحديث متشابهاً فإن الجريدة تؤكد على اعتباره معياراً لما يقبله العقل لما يُقبل ويُرد من الأحاديث، وذلك بقولها: «فمؤمن يؤمن بقيمة قلبه وشعوره وبشريته وفطرته وصفاء سريرته حقيق عليه تقبّل وتطبيق هذا المعيار، إلا أن للحزبيين ومصالحهم قولاً آخر، يردون كل حديث له مع الإنسانية التقاء طريق»!! وأهل السنة الذين وصفتهم بـ«الحزبيين» يصدّقون بكل ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإنسان والجان وغير ذلك.

٥- أما ما زعمته أن الذين وصفتهم بدقة الحس يميزون بين الصحيح والضعيف بذلك وبما

وضعه الفقهاء من قواعد؛ فهي دعوى لا مكان لها ولا اعتبار بها؛ لأن عقول أهلها تلوثت بما يريده أعداء الإسلام من القدح في دين الإسلام على أيدي بعض أبناء المسلمين الذين شذوا عنهم واتبعوا غير سبيلهم، والحقيقون بأوصاف دقة الحس وسلامة التصور وحسن الفهم هم أهل الحق والهدى الذين يعوّلون على النقل ويتهمون العقول، ثم من هم الفقهاء الذين زعمت التعويل على قواعدهم في نقد الأحاديث؟! وبلا شك أنها لا تعني فقهاء الشريعة الذين يعولون على الأحاديث الصحيحة ولا يقدحون فيها بأهوائهم، وإنما تعني فقهاء جنسها ممن يجلب الضرر لنفسه ولمن يقتدي به، ولهذا قالت: «وبمنهجية صارمة كان الفقهاء لا يقبلون أي متن لأي حديث مهما بلغت صحة سنده إلا بما وافق شروط التصحيح»، ومن أبرز فقهاء الشريعة الذين صنفوا في الفقه كتباً واسعة الإمام أبو عمر ابن عبدالبر (٤٦٣هـ) وكتابه: «الاستذكار»، والإمام عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ) وكتابه: «المغني»، والإمام أبو زكريا يحيى النووي (٦٧٦هـ) وكتابه: «المجموع شرح المهذب»، وقد حماهم الله من وضع قواعد لرد الأحاديث الصحيحة بعقولهم.

٦- وأما زعمها أن تصور شرب أبوال الإبل تنفر منه المُهَج السليمة فهو كلام غير مستقيم، والرسول صلى الله عليه وسلم لا يرشد إلا إلى شيء مباح الأكل والشرب، وليس معناه أن المطلوب من كل أحد أن يشربه، فإن الناس متفاوتون فيما تقبله النفوس من الأطعمة والأشربة المباحة، فمنهم من يعجبه طعام أو شراب تعافه نفس غيره كما حصل للرسول صلى الله عليه وسلم في عدم أكل الضب؛ لأن نفسه تعافه ولم يألف أكله، وقد أقر الصحابة الذين أكلوه بحضرته ممن تشتهيه نفوسهم.

٧- وأما زعمها أن الطب والحكمة والعقل ترد متن رواية شرب أبوال الإبل، فمن المعلوم أن العقول السليمة تقبل ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك مقتضى الحكمة، وأما رده من جهة الطب فلم تشر الجريدة إلى دراسة طبية تؤيد ما زعمته، ولا يرد الطب الصحيح ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بل الدراسات الطبية تؤيد ما جاءت به السنة، وفي صحيحي البخاري (٥٦٨٤) ومسلم (٥٧٧٠) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «أخي يشتكي بطنه، فقال: اسقه عسلاً، ثم أتى الثانية، فقال: اسقه عسلاً، ثم أتاه، فقال: اسقه عسلاً، ثم أتاه فقال: فعلتُ، فقال: صدق الله وكذب بطن أخيك، اسقه عسلاً، فسقاه فبرأ».

٨- وأما حديث السمع والطاعة للأمير وإن جلد الظهر وأخذ المال الذي أنكرته، فقد أخرجه مسلم عن حذيفة رضي الله عنه من طريقين (٤٧٨٤، ٤٧٨٥) وهو يتعلق بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم وعدم الخروج على الولاة وإن جاروا، ولفظ الطريق الأولى: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»، ولفظ الثانية: «تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع»، وهذه عقيدة السلف كما قال الطحاوي في عقيدة أهل السنة والجماعة: «ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا»؛ لأن الضرر الذي يحصل بالخروج عليهم أضعاف الذي يحصل بجَوْرهم.

٩- وما أقبح وأشنع وأفظع ما ذكرته في المقطع الثالث وهو: «فالرواية وإن كانت في البخاري يجوز للفرد ردّها بعقله حتى لو لم يكن متخصصاً»!! فإنه يوضح منتهى الانفلات والتمرد على شرع الله ودينه ورد السنة الصحيحة بالعقول السخيفة الفاسدة من كل من هب ودب.

١٠- ما زعمته من ذم عصر الخليفة العباسي المتوكل ووصفه بعصر الانحطاط وأنه هيمن على الوعي الإسلامي فيه فضل النقل على العقل، أقول: هذا كلام لا يصدر إلا من عقول منكوسة، والخليفة المتوكل رحمه الله هو الذي أظهر السنن وأمات البدع، ولا يُذم ما حصل في عهده من إظهار السنن إلا من أعمى الله بصيرته، وكيف يُذم عصر هيمن فيه على الوعي الإسلامي فضل النقل على العقل؟!

هذا وأسأل الله عز وجل أن يوفق بلاد المسلمين لكل خير ويحفظها من كل شر، وأن يقيها شر الأشرار وكيد الفجار من الغربيين والتغريبيين، وأن يهدي من ضل من المسلمين ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ربنا لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

فتاوى

حكم المساهمة في الشركات والمؤسسات المطروحة أسهمها للاكتتاب العام

س: هل تجوز المساهمة في الشركات والمؤسسات المطروحة أسهمها للاكتتاب العام في الوقت الذي نحن يساورنا فيه الشك من أن هذه الشركات أو المؤسسات تتعامل بالربا في معاملاتها، ولم نتأكد من ذلك؛ مع العلم أننا لا نستطيع التأكد من ذلك، ولكن كما نسمع عنها من حديث الناس؟

ج: الشركات والمؤسسات التي لا تتعامل بالربا وشيء من المحرمات تجوز المساهمة فيها، وأما التي تتعامل بالربا أو شيء من المحرمات فتحرم المساهمة فيها، وإذا شك المسلم في أمر شركة ما فالأحوط له ألا يساهم فيها؛ عملاً بالحديث: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»، وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر: «من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه».

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

أسئلة في بيع الذهب القديم والجديد

س١: صائغ يأخذ أجرة الصناعة على الذهب، ويتم ذلك إما في صورة بيع ذهب ويتقاضى ثمنه مع الأجرة، أو تبادل ذهب بذهب ويأخذ أجرة الصناعة بما فيها مكسبه.

ج١: أخذ الأجرة على صناعة الذهب مع قيمة المبيع لا شيء فيه إذا بيع بغير جنسه، كالورق النقدي، أما إذا بيع بجنسه كذهب بذهب مع أخذه أجرة فلا يجوز؛ لما ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثلا بمثل، ولا تشفوا بعضها على بعض «لا تفاضلوا ولا تزيدوا»، ولا تبيعوا الورق بالورق إلا مثلا بمثل، ولا تشفوا بعضها على بعض، ولا تبيعوا منها غائبا بناجز».

س٢: يبيع ذهبا قديما على أنه جديد (يعني: لم يلبس بعد) وهذا يكون إما في صورة شرط قد اشترطه، أو يكون ضمنا، وسيحاسب عليه محاسبة الجديد، وفي هذه الحالة يكون أخذ ثمن الدمغة، وهي لا تؤخذ إلا على الجديد (وهذه الدمغة تأخذها الحكومة في مقابل أنها تدمغ الذهب بعد التأكد من أنه عيار ٢١ أو ١٨، وهي تأخذها من الصائغ، والصائغ يأخذها من المشتري، وهذا يكون على الجديد فقط).

ج٢: لا يجوز بيع الذهب القديم على أنه جديد؛ لأن هذا فيه غش وتدليس وكذب، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ» [التوبة: ١]، وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من غشنا فليس منا» وكذلك أخذ أجرة الدمغة على الذهب القديم لا يجوز؛ إذا كان المشتري لا يدفعها إذا علم أن الذهب قديم.

استلام الرواتب عن طريق البنك

س: مجموعة من موظفي الدولة، في الآونة الأخيرة، بدأت إدارتنا بصرف رواتبنا الشهرية بشيكات على بنك تجاري، مما أثار في نفوسنا الشك والريبة حيال قبولنا لطريقة هذا الصرف؛ لذا أردنا عرض هذا الموضوع على سماحتكم راجين إفادتنا عن مدى تقبل صرف رواتبنا عن طريق هذا البنك أو ما يماثله، علما أن العقد المبرم بين البريد والبنك الأهلي أن يتم إيداع صافي الرواتب في البنك خلال الأسبوعين الأولين من كل شهر، ويبدأ صرف الرواتب في ٢٥ من كل شهر، أي بعد ١٠ أيام من الإيداع؟

ج: لا بأس بأخذ الرواتب التي تصرف عن طريق البنك؛ لأنك تأخذها في مقابل عملك في غير البنك، لكن بشرط أن لا تتركها في البنك بعد الأمر بصرفها لك من أجل الاستثمار الربوي.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

سارع أخي المسلم وأختي المسلمة

بالمشاركة بجزء من مالك ومن الزكوات أو الصدقات لنشر التوحيد من خلال المشاركة في الأعمال التالية:

طباعة كتيب يوزع مع مجلة التوحيد مجانا تتكلف النسخة خمسة وسبعين قرشا .. يطبع من كل كتيب مائة وخمسون ألف نسخة.

نشر تراث الجماعة من خلال طبع المجلة وتجليد أعداد السنة في مجلد واحد وذلك لعمل كرتونة كاملة ٣٨ سنة من المجلة.

دعم مشروع المليون نسخة من مجلة التوحيد - نسخة من المجلة لكل خطيب من خطباء الأوقاف والأزهر تصله على عنوانه.

نحن بانتظاركم .. يمكنكم المشاركة ودعم ذلك بعمل حوالة أو شيك مصرفي على بنك فيصل الإسلامي.

.. فرع القاهرة حساب رقم ١٩١٥٩٠ باسم مجلة التوحيد.

الآن

مفاجأة سارة

التوحيد
أوسع المجلات
الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٠
مجلداً
اطلبوها من باعة الصحف والمكتبات

موسوعة التوحيد

ببلاش

- بشرى سارة لإدارات الدعوة في فروع أنصار السنة بأنحاء الجمهورية.
- الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم ، أربعون عاماً من مجلة التوحيد .
- أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية من مجلدات مجلة التوحيد .
- استلم الموسوعة ببلاش بدون مُقَدَّم ؛ فقط ادفع ٧٥ جنيهاً بعد الاستلام على عشرة أشهر .
- من يرغب في اقتنائها فعليه التقدم بطلب للحصول عليها من إدارة الدعوة بالفرع التابع له أو من خلال قسم الاشتراكات بمجلة التوحيد بطلب مُزَكّى من الفرع .
- علماً بأن نموذج طلب الشراء والإقرار المرفق به من قبل الفرع موجود على موقع أنصار السنة وصفحة الفيسبوك الخاصة بكل من رئيس التحرير و صفحة مجلة التوحيد .
- هدية لكل من يرغب في اقتناء كرتونة المجلدات عبارة عن فهرس عام للمجلة وفهرس موضوعي يسلم بعد طبعه للفروع والمشتركين .

ومفاجأة آخرى
المجلد الجديد لعام ١٤٣٣ هـ
موجود الآن: سارع بالحصول عليه بـ ٢٥ جنيها فقط

التوحيد
١٤٣٣
١٤٣٣

☎ 23936517